كتاب التوحيد

تأليف الإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

وكتاب القول السديد
في مقاصد التوحيد

للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله
المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

طبعة مراجعة مصححة
١٤٠٩ هـ

الناشر
مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
الطالبية – جيزة – الجوهرة – ناصية شارع
محمد عبد الهادي بجوار مسجد محمد عبد الهادي

الناشر
مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
العنوان : ناصية شارع محمد عبد الهادي
الطالبية - الجوهرة
الجيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

بقلم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى
وهى تشتمـل على صفـوة عقيـدة أهل السنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة

الحمد لله . نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنـا وسيئـات أعـمالنا ، من يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له . ومن يُضْلل فلا هاديَ له . وأشهـد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه .

أما بعدُ : فقد سبق أن كتبنا تعليقاً لطيفاً فى موضوعات كتاب التـوحيد لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) قدَّس الله روحه ، فحصـل فيـه نفـع ومعونة للمشتغلين ، ومساعدة للمعلِّمين ، لما فيه من التفصيـلات النـافعة مع الوضوح التام . وطبع بمطبعة الإمام ثم نفـدت نسخـه مع كثـرة الطلب عليـه . ودعت الحاجة الشديدة إلى إعـادة طبعـه ونشـره ، وفى هذه المرة بَدَا لِي أن أُقدِّمَ أمام ذلك مقدمة مختصـرة تحتـوى على مُجمـلات عقـائـدِ أهـل السنـة ، فى الأصـول وتوابعها ، فأقول مستعينًا بالله .

وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدَر خيره وشره .

فيشهدون أن الله هو الربُّ الإله المعبود ، المتفرِّد بكل كمال فيعبدونه وحْدَه ، مخلصين له الدين .

فيقولون : إن الله هو الخالق البارىء المصور الرزّاق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور .

وانه المألوهُ المعبودُ الموحَّدُ المقصود ، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء ، الآخر الذي ليس بعده شيء ، الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، الباطن الذي ليس دونه شيء .

وأنه العليُّ الأعلى بكل معنى واعتبار ، علو الذات وعلو القدر ، وعلو القهر .

وأنه على العرش استوى ، استواءً يليق بعظمته وجلاله ، ومع علوه المطلق وفوقيته ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوى والسفلى ، وهو مع العباد بعلمه ، يعلم جميعَ أحوالهم ، وهو القريب المجيب .

وأنه الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته ، والكل إليه مفتقرون فى إيجادهم وايجاد ما يحتاجون إليه فى جميع الأوقات ، ولا غنًى لأحد عنه طرفة عين ، وهو الرءوف الرحيم ، الذى ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله ، فهو الجالب للنعم ، الدافع للنقم .

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجاتِ العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر . فيقول : لا أسألُ عن عبادي غيري ، مَنْ ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، مَنْ ذا الذي يسألني فأعطيه ، مَنْ ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، حتى يطلع الفجر . فهو ينزل كما يشاء ويفعل كما يريد ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ويعتقدون أنه الحكيم ، الذى له الحكمة التَّامَّة فى شرعه وقدره ، فما خلق شيئاً عبثاً ، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم .

وأنه التوَّاب العفوُّ الغفور ، يقبل التوبةَ مِنْ عباده ويعفو عن السِّيئات ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين .

وهو الشكور الذى يشكر القليل من العمل ويزيد الشاكرين من فضله .

ويصفونه بما وَصَفَ به نفسَه ، وَوَصَفَهُ به رسولُ اللهِ ﷺ .

من الصفات الذاتية ، كالحياة الكاملة ، والسمع والبصر ، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء ، والمجد والجلال والجمال ، والحمد المطلق .

ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا ، والسخط والكلام ، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء وكلماته لا تنفد ، ولا تبيد .

وإن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود .

وأنه لم يَزَلْ ولا يزالُ موصوفاً بأنه يفعل ما يريدُ ، ويتكلم بما شاء ، ويحكم على عباده بأحكامه القَدَرِيَّة ، وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية ، فهو الحاكم المالك ، ومَنْ سِوَاه مملوك محكوم عليه ، فلا خروجَ لِلْعبادِ عن ملكه ولا عن حكمه .

ويُؤمنون بما جاء به الكتابُ وتواترت به السنة : أنَّ المؤمنين يَرَوْنَ رَبَّهم تعالى عياناً جهرةً ، وأن نعيمَ رُؤيتِهِ والفوزَ برضوانه أكبرُ النعيم واللذة .

وأن مَنْ مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مُخَلَّدٌ في نار جهنم أبداً ، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مُكَفِّرٌ لذنوبهم ولا شفاعة فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها ، ولا يبقى في النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلَّا خَرَج منها .

وأن الإيمان يشملُ عقائدَ القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان ، فمن قام بها على الوجه الأكمل فهو المؤمن حقًّا ، الذى استحق الثواب وسَلِمَ مِنَ العِقاب ، ومَن انتقصَ منها شيئًا نقص مِن إيمانِه بقدر ذلك . ولذلك كان الإيمان يزيدُ بالطاعة وفعل الخير ، وينقصُ بالمعصية والشر .

ومن أصولهم السَّعْيُ والجِدُّ فيما ينفعُ من أمور الدين والدنيا مع الاستعانة بالله . فهم حريصون على ما ينفعهم ويستعينون بالله . وكذلك يُحَقِّقُون الإخلاصَ لله في جميع حركاتهم ، ويَتَّبِعُون رسولَ الله في الإخلاص للمعبُود والمتابعة للرسول ، والنصيحة للمؤمنين أَتْبَاعُ طَرِيقِهِم .

ويشهدون أن محمَّدًا عبدُه ورسولُه أرسلَه الله بالهدى ودين الحق ليظهرَهُ على الدِّين كُلِّهِ ، وأنه أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم النبيين ، أُرْسِلَ إلى الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا ، ودَاعِيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا ، وليقوم الخلْقُ بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك .

ويَعْلَمُون أنه أعلَمُ الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بيانًا ، فيعظمونه ويحبونه ، ويقدمون محبته على محبة الخلق كُلِّهِم ويتبعُونه فى أصولِ دينهم وفروعه .

ويقدِّمُون قَوْلَهُ وهَدْيَهُ على قولِ كُلِّ أحدٍ وهديه .

ويَعْتقدُون أن الله جَمَعَ له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمَعْه لأحد ، فهو أعلى الخلق مقامًا وأعظمهم جاهًا ، وأكملهم فى كل فضيلة ، لم يبق خير إلا دلَّ أُمَّتَه عليه ، ولا شر إلا حذَّرَهم منه .

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله ، وكُلِّ رسولٍ أرسله الله ، لا يفرقون بين أَحَدٍ من رُسُلِهِ .

ويؤمنون بالقدر كله ، وأن جميعَ أعمالِ العبادِ ــ خيرِها وشرِّها قد أحاط بها علمُ الله ، وجرى بها قلمُه ، ونفذت فيها مشيئته ، وتعلقت بها حكمتُه ، حيث خلق للعباد قدرةً وإرادةً ، تقع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم ، لم يجبرْهم على شيءٍ منها بل مختارين لها ، وخصَّ المؤمنين بأن حَبَّبَ إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، وكَرَّه إليهم الكفرَ والفسوقَ والعِصْيان بعَدْلِهِ وحكمته .

ومِنْ أُصُـول أهـل السُّنَّة أنهم يدينُـونَ بالنصيحـة لله ولكتابه ورسـولـه ، ولأئمـة المسلمـين وعـامتهم ، ويأمـرون بالمعـروف ، ويَنْهَـوْنَ عن المنكـر على ما توجبـه الشريعةُ ، ويأمرون بِبِرِّ الوالدين وَصِلَةِ الأرحـام ، والإحسـان إلى الجيران والمماليك والمُعَامِلِينَ ، وَمَنْ له حقٌّ ، وبالإحسان إلى الخلق أجمعين .

ويـَدْعُـون إلى مكـارم الأخـلاق ومحـاسنهـا ، ويَنْهَـوْن عن مساوىء الأخلاق وأرذلها .

ويعتقـدون أن أكمـل المـؤمنـين إيمانًا ويقينًا ، أحسنُهُم أعمالًا وأخـلاقـًا . وأَصْـدقُهُم أقـوالًا ، وأهـداهم إلى كل خير وفضيلة . وأبعدهم من كل رذيلة .

ويأمـرون بالقيـام بشرائع الدين ، على ما جاء عن نبيهم فيها وفى صفاتها ومكملاتها . والتحذير عن مفسداتها ومنقصاتها .

ويَرَوْن الجِهَاد فى سبيل الله ماضيًا مع البَرِّ والفاجِر ، وأنه ذِرْوَةُ سَنـام الـدين . جهـادَ العلمِ والحُجَّة . وجهادَ السِّلاح . وأنه فرضٌ عَلَى كلِّ مسلمٍ أن يدافعَ عَنِ الدِّين بكل ممكن ومستطاع .

ومن أصـُـولهم الحث على جَمْع كلمـة المسلمـين . والسَّعْي فى تقريبِ قلوبهم وتأليفِهَا . . والتَّحْذير من التفرق والتعادي والتباغض والعمل بكل وسيلة توصل إلى هذا .

ومن أصـولهم النَّهْيُ عن أذيـَّةِ الخلْقِ فى دمـائهم وأمـوالهم وأعـراضهم وجميـع حقـوقهم ، والأمـرُ بالعـدْل والإنصـاف فى جميع المعاملات . والنَّدْب إلى الإحسان والفضل فيها .

ويـؤمنـون بأن أفضلَ الأمم أمةُ محمَّدٍ ﷺ وأَفْضَلَهُمْ أصْحَابُ رسـولِ الله ﷺ . خصـوصـًا الخلفاءُ الراشدون والعشرةُ المشهود لهم بالجنـة . وأهـلُ بدر . وبيعـةِ الـرضـوان والسَّـابقـون الأوَّلـون من المهاجرين والأنصار . فيحبُّون الصَّحَابة ويدينُون للهِ بذلك .

وَيَنْشُرُونَ مَحَاسِنَهُم ويسْكتون عَمَّا قيل عن مَسَاوئهم .

ويـدينـون لله باحـترام العلماء الهـداة وأئمـة العدل ، ومَنْ لهم المقاماتُ العاليةُ فى الدين والفضل المتنوع على المسلمين ، ويسألون الله أن يعيـذَهُم مِنَ الشَّـك والشِّـرك والشقاقِ والنفاقِ وسُوء الأخلاق وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى المات .

هذه الأصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون وإليها يدعون .

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الآية[2] .

وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الآية[3] .

وقوله : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ - الآية[4] .

وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ . الآيات[5] .

كتاب التوحيد

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب مِنْ أوله الى آخره . ولهذا استغني بها عن الخطبة ، أى أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه ، وحدوده وشروطه ، وفضله وبراهينه ، وأصوله وتفاصيله ، وأسبابه ، وثمراته ، ومقتضياته ، وما يزداد به ويقويه ، أو يضعّفه ويوهيه ، وما به يتم أو يكمل .

---

(١) الآية ٥٦ : الذاريات .

(٢) من الآية ٣٦ : النحل .

(٣) الآية ٢٣ : الاسراء .

(٤) الآية ٣٦ : النساء .

(٥) الآيات من ١٥١ - ١٥٣ : الأنعام .

قال ابن مسعـود : « مَنْ أراد أن ينظـرَ إلى وصية مُحمَّد صلى الله عليـه وسلم التى عليهـا خاتمُـه فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ ـ الآية .

عن معـاذ بن جبـل رضيَ الله عنـه قال : « كنتُ رديفَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي : يا معاذ ؟ أتدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلى العِبَـاد ، وَمَـا حقُّ العِبَـاد عَلى اللّه ؟ قُلْتُ اللَّهُ ورَسُـولُـه أَعْلَم ، قال : حقُّ اللَّه على العبَاد أن يَعْبُدُوهُ ولا يُشْـركُوا به شيئًا ، وحَقُّ العِبَاد على الله أن لا يُعذِّب مَنْ لا يُشْرك به شيئًا ، قلت : أفلا أُبشِّرُ الناسَ ؟ قال : لا تُبشِّرْهُمْ فَيتَّكلُواْ » أخرجاه فى الصحيحين .

اعلم أن التـوحيـد المطلق:العلم والاعـتراف بتفـرد الـربِّ بصفات الكمال ، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال . وإفراده وحْدَه بالعبادة .

وهـــو ثلاثـة أقســـام

أحدها : توحيد الأسماء والصفات .

وهو اعتقاد انفراد الربِّ جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعُوت العظمـةِ والجـلال والجمال التى لا يشـاركـه فيها مُشارك بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع

فيــــه مســـائل

الأولى : الحكمة فى خلق الجن والانس .

الثانية : ان العبادة هى التوحيد ، لان الخصومة فيه .

الثالثة : ان من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ .

الرابعة : الحكمة فى إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة : أن عبادة الله لا تحصل الا بالكفر بالطاغوت . ففيه معنى قوله : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام فى كل ما عُبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشر مسائل .

أولاها النهي عن الشرك .

والعاشرة : الآيات المحكمات فى سورة الاسراء .

وفيها ثمانية عشر مسألة بدأها الله بقوله :

الأسماء والصفات ، ومعانيها وأحكامها ، الواردة فى الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيءٍ منها ولا تعطيلٍ ، ولا تحريفٍ ولا تمثيلٍ .

ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسولُه ﷺ من النقائص والعيوب وعن كلِّ ما ينافي كمالَهُ .

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ .

وختمها بقوله :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ .

ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله :

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْئًا ﴾ .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حَقِّ ٱللَّهِ علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حَقِّ العباد عليه إذا أَدَّوا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره .

الثاني : توحيد الربوبيّة

بأن يعتقد العبدُ أن الله هو الربُّ المتفردُ بالخلق والرزق والتدبير الذي ربّى جميعَ الخلقِ بالنعم وربّى خواصَّ خلقِهِ وهم الأنبياءُ وأتباعهم بالعقائد الصحيحة ، والأخلاق الجميلة ، والعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة ، وهذه هي التربيَة النافعَةُ للقلوب والأرواح المثمرة لسَعَادة الدَّارين .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : (الله ورسوله أعلم) .

العشـــــرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوبه الحمار مع الإرداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

الثالث : توحيد الإلهية — ويقال له توحيد العبادة

وهو العلمُ والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وَحْدَه بالعِبَادة كلها وإخلاص الدين لله وحده ، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما ، لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصَافَ الكمال وجميع أوصاف الربوبيَّة والعظمة ، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال ، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه .

ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى هذا التوحيد .

باب فضل التوحيد وما يُكفِّرُ من الذنوب

وقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[1] ـ الآيـة . عن عُبـادة بن الصَّـامت قال : قال رسـول الله ﷺ : (مَنْ شَهِـدَ أن لا إلَه إلَّا الله وحْـدَهُ لا شريـكَ لَهُ وأنَّ مُحمَّـدًا عبـدُه ورسـولُـه وأنَّ عيسى عبْـدُ اللهِ ورسُـوله وكلمتُه ألقاهَا إلى مريم وروح منه . والجنَّةَ حقٌّ والنارَ حق : أدخلَه الله الجَنَّةَ على ما كان من العمَـل . أخـرجـاه . ولهما في حديث عتبان : (فإن الله حَرَّمَ عَلَى النار من قال : لا إله إلَّا الله يَبْتَغِي بذلك وَجْهَ الله) .

---

(١) الآية ٨٢ : الأنعام .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «قال مُوسَى يا ربِّ عَلِّمْني شيئًا أذكُرُك وأدعوكَ بهِ. قال: قُلْ يا مُوسَى لَآ إِلٰه إِلَّا الله . قال يا ربِّ . كُلُّ عِبَادِكَ يقولون هَذَا . قال : يا مُوسَىٰ لَوْ أن السَّمَٰوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ - غيري - والأرضينَ السبْعَ في كفَّة ولا إلٰه إِلَّا الله في كفة : مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلٰه إلا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه .

وللترمذي - وحسنه - عن أنس سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : قال الله تعالى : يا آبْنَ آدَم . لَوْ أتيتَنِي بقُرَاب الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشركُ بي شَيْئًا لأتيتُكَ بقرابهَا مَغْفِرةً .

(باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)

لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد ، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد ، ذكرَ هنا فضله هو وآثاره الحميدة ونتائجه الجميلة ، وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد ، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله .

فقول المؤلف رحمه الله . (وما يُكَفِّرُ مِنَ الذنوب) من باب عطف الخاص على العام ، فان مغفرة الذنوب وتكفيرَ الذنوب من بعض فضائله وآثاره كما ذكر شواهد ذلك في الترجمة .

ومن فضائله أنه السببُ الأعظمُ لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما .

فيـــه مســـائل

الأولى : سعة فضل الله .
الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .
الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .
الرابعة : تفسير الآية التي فى سورة الأنعام .
الخامسة : تأمل الخمس اللواتي فى حديث عبادة .

ومِنْ أجَلِّ فوائـده أنـه يمنعُ الخلود فى النار . إذا كان فى القلب منه أدنى مثقال حبة خردل .

وأنه إذا كمل فى القلب يمنع دخول النار بالكلية .

ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام فى الدنيا والآخرة .

ومنهـا أنـه السببُ الـوحيد لنيل رضا الله وثوابه ، وأنّ أسعدَ الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه .

ومن أعظم فضـائله أن جميـعَ الأعـمال والأقـوال الظـاهـرة والباطنة متـوقفـة فى قبـولها وفى كمالها وفى ترتب الثواب عليها على التوحيد ، فكلما قوى التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت .

ومن فضائله أنه يُسَهِّلُ على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسلّيه عن المصيبـات ، فالمخلص لله فى إيـمانـه وتـوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصى لما يخشى من سخطه وعقابه .

ومنهـا أن التـوحيـد اذا كمـل فى القلب حبّبَ الله لصـاحبـه الإيمان وزينه فى قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبيَّن لك معنى قول « لَا إِلَه إِلَّا الله » وتبيَّن لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل « لا إله إلا الله » .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبعٌ كالسموات .

ومنها أنه يخفف عن العبد المكاره ويُهوِّن عليه الآلام . فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان تلقيه المكارة والآلام بقلبٍ مُنْشَرِحٍ ونفس مطمئنة وتسليم ورضًا بأقدار الله المؤلمة .

ومن أعظم فضائله أنه يحرِّر العبْدَ من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقى والشرف العالى .

ويكون مع ذلك متألها متعبدًا لله لا يرجو سواه ولا يخشى إِلَّا إِيَّاه ، ولا ينيب إلا إليه ، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه .

ومن فضائله التى لا يلحقه فيها شىء أن التوحيد إذا تم وكمل فى القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام ، فإنه يُصَيِّرُ القليلَ من عمله كثيرًا ، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب ، ورجحت كلمة الإخلاص فى ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض . . وعمارها من جميع خلق الله كما فى حديث أبى سعيد المذكور فى الترجمة وفى حديث البطاقة التى فيها لا إله إلا الله التى وزنت تسعة وتسعين سجلا من

الحادية عشرة : أن لهُنَّ عُمَّارًا .

الثانية عشرة : إثبات الصفات خلافًا للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان « فإن الله حَرَّمَ على النَّار مَنْ قال لا إلـه إلا الله يبتغي بذلك وَجْهَ الله » أنه تَرْكُ الشِّرْك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحا منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله « على ما كان من العمل » .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشـــرون : معرفة ذكر الوجه .

الذنوب ، كل سجل يبلغ مدّ البصر . وذلك لكمال إخلاص قائلها . وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ ، لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثلُه ولا قريبٌ مما قام بقلب هذا العبد .

ومن فضـائـل التـوْحيـد أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعـز والشـرف وحصـول الهـدايـة والتيسـير لليسـرى وإصـلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال .

ومنهـا أن الله يدافـع عن المـوَحِّـدِين أهـلِ الإيـمان شرورَ الـدنيـا والآخـرة ، ويَمُن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره ، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة والله أعلم .

باب من حقّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

عن حصين بن عبد الرحمن قال : «كنتُ عند سعيد بن جُبَيْر فقال : أيكم رَأَى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحةَ ؟ فقلت : أنا، ثم قلت أما أني لم أكن في صلاة : ولكني لُدِغْتُ. قال فما صَنَعْتَ؟ قلت : ٱرتقيْتُ. قال : فما حَمَلَكَ على ذلك؟ قلتُ : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لا رُقْيَةَ إِلّا مِنْ عيْنٍ أوْحُمَة ، قال أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : عُرِضَتْ

(باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)

وهذا الباب تكميلٌ للباب الذى قبله وتابع له .

فإن تحقيقَ التوحيد تهذيبُه وتصفيتُه من الشرك الأكبر والأصغر ، ومن البدع القوليّة الاعتقادية ، والبدع الفعلية العملية ، ومن المعاصى وذلك بكمال الإخلاص لله فى الأقوال والأفعال والإرادات ، وبالسلامة من الشرك الأكبر — المناقض لأصل التوحيد ، ومن الشرك الأصغر المنافى لكماله ، وبالسلامة من البدع .

(١) الآية ١٢٠ : النحل . (٢) الآية ٥٩ : المؤمنون .

عليَّ الأمم ، فرأيتُ النبيَّ ومعــه الـرّهْـطُ ، والنبيَّ معــه الـرجـل والـرجـلان ، والنبيَّ وليس معـه أحَـدٌ إذ رُفع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمتي : فقيـل لي هذا موسى وقـومُـه فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيـل لي : هذه أمتـك ، ومعهم سبْعُـون ألفـًا يَدْخُلُون الجنـة بغير حسـاب ولا عَذَاب » . ثم نهض فدخـل منـزلـه فخـاضَ الناسُ فى أولئـك ، فقـال بعضُهم فلعلهم الـذين صَحِبُـوا رسولَ الله ﷺ وقال بعضهم : فلعلهم الـذين وُلـدُوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا . وذكـرُوا أشيَـاء فخـرج عليهم رسـول الله ﷺ فأخبـروه فقال : « هم الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يكْتَوُوْن ولا يَتَطَيَّرُون . وعلى ربهم يَتَوَكَّلُونَ » فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يَجْعَلَني منهم فقال : أنت منهم . ثم قام رجـل آخـر فقـال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : سبقك بها عكاشة .

والمعاصى التى تكدر التوحيد وتمنع كماله ، وتعوقُه عن حصول آثاره .

فمَنْ حَقَّقَ توحيـدَه بأن امتلأ قلبُـه من الإيمان والتوحيد والإخلاص وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله ولم يجرح ذلـك بالإصـرار على شىء من المعـاصى ، فهـذا الذى يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوّ المنازل منها .

ومن أخص ما يدل على تحقيقه، كمالُ القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين فى شأن من شئـونه ، ولا يستشرف إليهم بقلبـه ، ولا يسألهم بلسـان مقاله أو حاله ، بل يكون ظاهره وباطنه

فيـــه مســـائل

الأولى : معرفة مراتب الناس فى التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه عل إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه ، عليه الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتى وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم وهوعدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد فى القلة .

السادسة عشرة : الرخصة فى الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله (قَدْ أَحْسَنَ مَن انتهى إلى مَا سَمِعَ ولكن كَذَا وَكَذَا) فَعُلِمَ أن الحديث الأول لا يخالف الثانى .

الثامنة عشرة : بُعْد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .
التاسعة عشرة : قوله (أنت منهم) علم من أعلام النبوة .
العشـــرون : فضيلة عكاشة .
الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .
الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

بـــاب الخوف من الشرك

وقـول الله عز وجـل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١).

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(٢).

وأقـوالـه وأفعـالـه وحبُّه وبغضه ، وجميع أحواله كلها مقصودًا بها وجهَ الله متبعًا فيها رسولَ الله .

والنـــاس فى هذا المقـام العظيم درجـات (وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ) . وليس تحقيق التـوحيـد بالتمنى ولا بالـدعـاوى الخـاليـة من الحقـائق ، ولا بالحلى العـاطلة ، وإنـما ذلـك بما وقر فى القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدقته الأخلاق الجميلة ، والأعمال الصالحة الجليلة .

فمن حقق التـوحيـد على هذا الـوجـه حَصَلَتْ له جميـعُ الفضائل المشار إليها فى الباب السابق بأكملها والله أعلم .

---

(١) الآيتين ٤٨، ١١٦ : من سورة النساء .
(٢) من الآية ٣٥ : إبراهيم .

وفى الحديث « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم الشِّرْكَ الأَصْغرَ . فَسُئِلَ عنْهُ ؟ فقال : الرِّياءُ » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : (منْ مَات وهويَدْعُومن دُون الله نِدًّا دَخَلَ النَّار) . رواه البخارى .

ولمسلم عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (منْ لقى الله لا يشركُ به شيئا دخل الجنَّة . ومنْ لقيهُ يشرك به شيئًا دخل النار) .

(باب الخوف من الشرك)

الشركُ فى توحيد الإلهية والعبادة ينافى التوحيدَ كُلَّ المنافاة وهو نوعان : شرك أكبر جلي ، وشرك أصغر خفي .

فأما الشرك الأكبر :

فهو أن يجعلَ لله نِدًّا يدعوه كما يدعو الله ، أو يخافه أو يرجوه أو يحبُّه كحبِّ الله ، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة ، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء ، وهذا المشرك الذى حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار .

ولا فرق فى هذا بين أن يُسمِّى تلك العبادة التى صرفها لغير الله عبادة ، أويسميها توسُّلاً ، أويسميها بغير ذلك من الأسماء فكل ذلك شرك أكبر لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها .

وأما الشرك الأصغر :

فهو جميع الأقوال والأفعال التى يُتَوَسَّل بها إلى الشرك كالغُلُوِّ فى المخلوق الذى لا يبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله ويسيرِ الرياء ونحو ذلك .

فيـــه مســـائل

الأولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما فى حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه لا يشركُ به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقايةَ عبادةِ الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر لقوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] .

العاشرة : فيه تفسير (لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللهُ) كما ذكر البخارى .

الحادية عشرة : فضيلة مَنْ سَلِمَ من الشرك .

فإذا كان الشرك ينافى التوحيدَ ويوجبُ دخولَ النار والخلودَ فيها وحرمانَ الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه،كان حقًّا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى فى الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيارُ الخلق .

---

(١) من الآية ٣٦ : إبراهيم .

باب الدَّعوة إلى شهادة أن لَا إلٰه إلّا الله

وقــول الله تعــالـى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ — الآية ﴾[1] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما (أَنَّ رسُولَ الله ﷺ لما بَعَث مُعـاذًا إلى اليمن قال له : إنـك تأتي قومًا منْ أهل الكتاب . فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تدْعُوهُم إليه شهادةُ أن لا إله إلّا الله) .

وعلى العبـد أن يجتهـد فى تنمية الإخلاص فى قلبه وتقويته ، وذلك بكمال التعلق بالله تَأَلُّهاً وإنابة وخوفاً ورجاءً وطمَعاً وقصداً لمرضاته وثوابه فى كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة ، فإن الإخلاص بطبيعتـه يدفـع الشـرك الأكـبر والأصغـر وكُلُّ مَنْ وقَعَ منه نوع من الشرك فلضعفِ إخلاصه .

(باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله)

وهذا الترتيب الذى صنعه المؤلف فى هذه الأبواب فى غاية المناسبة فإنـه ذكـر فى الأبواب السابقة وجوبَ التوحيد وفضله ، والحث عليه وعلى تكميله ، والتحقق به ظاهرًا وباطنًا ، والخوف من ضده ، وبذلك يكمل العبدُ نفسَه .

ثم ذكر فى هذا الباب تكميلَهُ لغيره بالدَّعْوة إلى شهادة (أن لا إله إلا الله) فإنـه لا يتم التـوحيـدُ حتى يكمل العبد جميع مراتبه ثم يسعى فى تكميـل غيره — وهـذا هو طريق جميـع الأنبيـاء — فإنهم أول ما يدعـون

---

(١) الآية ١٠٨ : يوسف .

وفي روايـة : (إلى أن يُوحِّـدُوا الله - فَإِنْ هُمْ أطـاعُوك لذلك فأَعلِمْهم أن الله افتَـرَض عليهم خمسَ صَلَوَات في كلِّ يَوْمٍ وليلة ، فإن هُمْ أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدَقة تُؤْخذُ من أغنيـائهم فَتُـرَدُّ على فُقَـرائهم . فإن هم أطـاعـوك لذلـك فإيَّـاك وكـرائم أمـوالهم . واتَّق دعْـوَةَ المظْلُوم . فإنـه ليس بينهـا وبين الله حجاب) أخرجاه .

ولهُمَـا عن سَهْـل بن سَعْـد رَضِيَ الله عنه : أن رسولَ الله ﷺ قال يوم خيبـر (لَأُعْطِيَنَّ الـرَّاية غدًا رَجُلًا يُحبُّ اللَّهَ ورَسُولَه . ويحبه اللهُ ورسولهُ ، يفتحُ الله على يدَيْهِ . فبات الناسُ يَدُوكُون ليلَتَهُم . أيهُمْ يُعْطاهَا . فلما أصبَحُوا غَدَوْا على رسولِ الله ﷺ كلهُم يرجو أن يُعْطَـاهَـا . فقـال : أيْنَ علي بن أبي طالب ؟ فقيـل : هو يشتكى عَيْنَيْه . فأرْسَلُوا إليه فأُتِيَ بِهِ فبصق في عَيْنَيْه ودَعَا له . . .

قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهى طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ لأنـه قام بهذه الـدعـوة أعظم قيـام ودعـا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن — لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الـدين وهـدى به الخلق العظيم ، ووصـل دينـه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها — وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيـده قبـل كل شىء لأن جميـع الأعـمال متوقفة فى صحتها وقبولها على التوحيد .

فكـما أن على العبـد أن يقـومَ بتوحيد الله فعليه أن يدعوَ العباد إلى الله بالتى هيَ أحسن — وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقصَ من أجورهم شىء .

فبَرِىء كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الرايةَ : فقال : انفذْ على رِسلِكَ ، حتى تنـزل بسَاحتهم ، ثم ادعُهُم إلى الإسْلام . وأخبِرْهُم بمَا يجبُ عليهم مِنْ حَق الله تعَالى فيه فوالله لأن يهْدِىَ الله بك رَجُلاً وَاحِدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ) يَدُوكُون : أى يخوضون .

فيــــه مســـائل

الأولى : أن الدّعوة إلى الله طريق من اتبع رسولَ الله ﷺ .

الثانية : التنبيه على الإخلاص ؟ لأن كثيرًا من الناس لو دَعَا إلى الحق فهو يَدْعُو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : مِنْ دلائل حُسْنِ التوحيد كونه تنزيهًا لله تَعَالىٰ عن المسَبَّةِ .

الخامسة : أن مِنْ قُبْح الشرك كونه مَسَبَّةً لله .

السادسة : وهى من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أنه يَبْدأ به قبل كل شىءٍ حتى الصلاة .

التاسعة : أن مَعْنَى (أن يُوَحِّدُوا الله) معنى شهادة أن لَّآ إِلَهَ إلا الله .

العاشرة : أن الإنسَان قد يَكون مِنْ أهْلِ الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهَمِّ فالأهَمِّ .

الثالثة عشرة : مَصْرِفُ الزكاة .

الرابعة عشرة : كشفُ العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النَّهْيُ عَنْ كرائِم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دَعْوَةِ المظلوم .

السابعة عشرة : الإخبارُ بأنَّها لا تُحْجَبُ .

الثامنة عشرة : مِن أدلة التوحيد ما جَرَى عَلَى سَيِّد المرسلين . وسَادَات الأولياءِ منَ المشقة والجُوع والوباء .

التاسعة عشرة : قوله (لأعْطِيَنَّ الرَّايَةَ) الخ . علم من أعلام النبوة .

العشــــــرون : تفله فى عينيه علم من أعلامها أيضا .

الحادية والعشرون : فضيلة عَلِيٍّ رضِىَ الله عنه .

الثانيـة والعشـرون : فضـل الصَّحَـابة فى دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وشغلهم عَنْ بشارة الفتح .

الثالثة والعشـرون : الإيمانُ بالقَدَرِ ، لحصُولها لِمن لم يَسْعَ لَهَا ومَنْعِهَا عَمَّن سَعَىٰ .

الرابعة والعشرون : الأدبُ فى قوله على رسلك .

الخامسة والعشرون : الدَّعْوة إلى الإسلام قبل القتال .

وإذا كانت الـدَّعـوة إلى الله ، وإلى شهـادة أن لا إلـه إلا الله فرضًا على كل أحد . كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره .

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم .

السادسة والعشرون : أنهُ مَشرُوع لمن دُعُوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدَّعْوة بالحكمة لقوله (أَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ) .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحَقِّ اللهِ فِي الإسْلَام .

التاسعة والعشرون : ثوابُ مَن اهْتَدَى عَلَى يَدَيْه رَجُلٌ وَاحِد .

الثـلاثـــون : الْحَلِفُ عَلَى الفتيا .

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقـول الله تعـالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ الآية .[1].

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الآية .[2].

وعلى القـادر ببـدنـه ويـده أو مَاله أو جاهِهِ وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة .

قال تعـالى ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ ورحم الله من أعـان على الدين ولو بشطر كلمة — وإنما الهلاك فى ترك ما يقدر عليه العبدُ من الدَّعوة إلى هذا الدين .

---

(١) الآية ٥٧ : الاسراء .

(٢) الآيات ٢٦، ٢٧، ٢٨ : الزخرف .

وقوله : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية .[1].

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية[2].

وفي الصَّحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (مَنْ قَالَ لَآ إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وكفرَ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُون الله حرُم ما لُهُ ودمُهُ ، وحِسَابه عَلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) .

(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)

هما بمعنىً واحد ، فهو من باب عطف المترادفين .

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف رحمه الله .

وحقيقـة تفسـير التـوحيـد : العلم والاعتراف بتفرُّد الرب بجميع صِفَاتِ الكمال وإخلاص العِبَادة له .

وذلـك يرجـع إلى أمـرين : نفى الأُلـوهة كلها عن غير الله ، بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الإلهية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق لا نبى مرسـل ولا ملـك مقـرب ولا غيرهما ، وأنـه ليس لأحـد من الخلق فى ذلك حظ ولا نصيب .

والأمر الثانى : إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعـانى الألـوهية كلها وهى نعوت الكمال كلها ، ولا يكفى هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص كلمة الدين لله فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسـان وبحقـوق الله وحقـوق خلقـه قاصـدًا بذلـك وجـه الله وطالبا رضوانه وثوابه .

---

(١) من الآية ٣١ : التوبة .　　(٢) الآية ١٦٥ : البقرة .

وشرح هذه الترجمة ما بَعْدَهَا مِنَ الأبواب .

فيه أكبر المسائل وأهمها —

وهي تفسير التوحيد — وتفسير الشهادة

وبيّنهما بأمورٍ وَاضِحَة —

مِنْهَا آيـة الإسْراء . بَيَّن فيهَا الرد عَلَى المشركِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالحين،ففيها بيان أَنَّ هَذا هُوَ الشرك الأكبر .

ومنهــا آيـة براءة بَيَّن فيهـا أَنَّ أهْـلَ الكتـاب اتخـذوا أحبـارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله .

وبَـيَّن أنهم لم يُؤْمَـرُوا إِلَّا بِأَن يَعْبُدُوا إلهاً واحدًا مع أَنَّ تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية ، لادُعَاءَهُمْ إِيَّاهُمْ .

ومنهـا قول الخليـل عليه السلام للكفار ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ فاستثنى مِنَ المعبودين رَبَّه .

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهَذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) .

ويعلم أن من تمام تفسيرهـا وتحقيقهـا البراءة من عبادة غير الله ، وأن اتخـاذ أنـداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعـة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافى معنى: لا إلٰه إلا الله أشدَّ المنافاة .

وبين المصنف رحمه الله أَنَّ مِنْ أعظم ما يُبَيِّنُ معنى لا إله إلا الله قوله ﷺ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَدُ من دُون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله . فلم يجعـل مجرد التلفـظ بها عاصمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معنـاهـا مع لفظهـا ، بل ولا الإقـرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله

ومنهـا آيـة البقـرة فى الكفـار الـذينَ قال الله فيهم ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ذكر أنهم يحبون أنْدَادَهم كحب الله ، فَدَل على أنهم يحبُّون الله حُبًّا عظيمًا ، ولم يدخلهم فى الإسلام ، فكيف بمن أَحبَّ النِّـدَّ أكـبرَ مِنْ حُبِّ الله؟، وكيف بمَنْ لم يحب إلا النِّدَّ وَحْدَه ولم يحب الله؟.

ومنهـا قولـه ﷺ (مَنْ قال لا إلـه إلا الله وكفر بما يُعْبدُ من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله) .

وهذا مِنْ أعْظَم مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى ـ لَا إِلَه إِلَّا ٱللَّه ـ فَإنَّه لم يَجْعَل التلفـظ بِهَا عَاصِمًا للدم والمال ، بل ولا معرفة معْنَاهَا مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذَلك ، بل ولا كونه لا يَدْعُو إلاَّ الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم مالـه ودمـه حتى يضيفَ إلى ذلـك الكفرَ بمَا يُعْبَدُ مِن دُون الله ، فَإنْ شك أو توقَّفَ لم يحرم مالـه ولا دمـه ، فيـالهَـا من مسألـة ما أعظمها وأجلها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه .

. فتبـين بذلـك أنـه لابد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، ومن الإقرار بذلك اعتقادًا ونطقا ، ولابد من القيام بعبودة الله وحده طاعة لله وانقيادًا ، ولابد من البراءة مما ينافى ذلك عقدًا وقولًا وفعلاً .

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم .

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ الآية[1].

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ رأى رَجُلًا فى يده حلقة من صفر فقال : ما هذه ؟ قال : مِنَ الوَاهِنَةِ . فقال : انزعها فإنَّهَا لا تزيدُك إلاَّ وَهنًا . فَإنك لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ ما أفْلحْت أبدًا) رواه أحمد بسند لا بأس به .

وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم ، لا تغنى فى هذا المقام الألفاظ المجردة ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة ، بل لابد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل ، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية والله أعلم .

(باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه)

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب .

وتفصيل القول فيها:أنه يجب على العبد أن يعرفَ فى الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا .

---

(1) من الآية ٣٨ : الزمر .

ولـه عن عقبـة بن عامـر مرفـوعًا « مَنْ تَعَلَّق تَمِيمَةً فَلَا أتمَّ اللَّهُ لهُ ، ومن تَعَلّق ودَعَةً فلا ودع اللَّهُ لهُ » .

وفى رواية « مَنْ تَعَلَّق تمِيمَة فقد أشْرَكَ » .

ولابن أبى حاتم عن حذيفـة أنـه رأى رجـلا فى يده خيـط من الحمى فقطعه وتلا قوله ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1].

ثانيهـا : أن لا يعتمـد العبدُ عليها بل يعتمد على مسببها ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها .

ثالثها : أن يَعْلَم أن الأسبابَ مَهْمَا عظمَت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقـدَره لا خروج لها عَنْه : والله تعـالى يتصرف فيها كيف يشاء . إن شاء أبقى سببيتهـا جاريـة على مقتضى حكمتـه ليقوم بها العبادُ ويعرفوا بذلك تمام حكمتـه حيث رَبَـط المسببـات بأسبَابها والمعلولات بِعِلَلِهَا ، وإن شاء غيرَهـا كيف يشـاء لئـلا يعتمـد عليهـا العبـاد وليعلموا كمال قدرته ، وان التصـرف المطلق والإرادة المطلقـة لله وَحْدَهُ ، فَهَذا هو الواجب على العبد فى نظره وعمله بجميع الأسباب .

إذا علم ذلـك فمن لبس الحلقـة أو الخيـط أو نحوهما قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزوله ، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك ، لأنه إن اعتقد أنها هى الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر .

وهو شرك فى الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع الله فى الخلق والتدبير .

---

(١) آية ١٠٦ : يوسف .

فيـــه مســائل

الأولى : التغليظ فى لبْس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية : أن الصَّحابى لومات وَهِيَ عليه ما أفلح . فيه شاهد لكلام الصحابة أنَّ الشِّرْكَ الأصْغر أكْبَرُ مِن الكبائر .

الثالثة : أنه لم يُعْذَرْ بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع فى العَاجِلَةِ بَلْ تضر ، لقوله (لا تزيدك إلا وهنا) .

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على مَنْ فعل مثل ذلك .

السادسة : التَّصْريح بأنّ مَنْ تعلّق شيئًا وُكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيـات التى فى الشـرْك الأكْبَرَ عَلى الأصْغر ، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة .

وشـرك فى العبـوديّة حَيْث تألّـه لذلـك وعَلّق به قلبـه طمَعًا ورَجَاءً لنفعـه . وإن اعتقـد أن الله هو الـدافـع الـرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستـدفـع بها البـلاء فقـد جعل ما ليس سببا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا ، وهذا مُحَرّمٌ وكَذِبَ على الشرع وعلى القدر .

أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشدَّ النهى . وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة .

وأمـا القـدر فليس هذا من الأسبـاب المعهودة ولا غير المعهودة التى يحصلُ بها المقصود ، ولا من الأدْوية المباحة النافعة . وكذلك هو من جملة

العاشرة : أن تعليقَ الوَدَع من العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمةً أن الله لا يتم له ، ومن تعلق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له . أى ترك الله له .

باب ما جاء فى الرقى والتمائم

فى الصحيح : عن أبي بشير الأنصاريّ رضيَ الله عنه : (أنه كان مَعَ رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فأرْسَلَ رَسُولًا أن لا يَبْقَيَنَّ فى رقبةِ بَعِيرٍ قِلَادةٌ مِنْ وَتَرٍأو قلادةٌ إلا قُطِعَتْ) .

وسائل الشرك فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلّقها بها ، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه .

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التى شرعها على لسان نبيه التى يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه ، ولا من الأسباب القدرية التى قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقا قلبه بها راجيًا لنفعها ، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده فإنه لو تم توحيدُه لم يتعلق قلبه بما ينافيه ، وذلك أيضا نقصٌ فى العقل حيث تعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه ، بل هو ضرر محض .

والشرع مَبْنَاهُ على تكميل أديان الخلق بنَبْذِ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين ، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات ، والجد فى الأمور النافعة المرقّية لِلعقول ، المزكّية للنفوس . المصْلِحَة للأحوال كلها دينيها ودنيويها والله أعلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول : « إن الرُّقَى والتَّمَائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ » رواه أحمد وأبو داود .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا : « مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إلَيْه » رواه أحمد والترمذي .

« التمائم شيْء يُعَلَّق على الأولادِ يَتَّقُونَ به من العين . ولكن إذا كان المعَلَّقُ من القرآن فَرَخَّصَ فِيهِ بعضُ السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه .

« والرُّقَى » هي التى تُسَمَّى العَزَائِم ، وخَصَّ مِنْهَا الدَّليلُ مَا خَلَا مِنَ الشرك فقد رَخَّصَ فيه رسُولُ الله ﷺ من العين والحمة .

(باب ما جاء فى الرقى التمائم)

أما التمائم فهى تعاليق تتعلق بها قلوبُ متعلقيها ، والقول فيها كالقول فى الحلقة والخيط كما تقدم .

فمنها ما هو شرك أكبر ، كالتى تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين . فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك كما سيأتى ان شاء الله .

ومنها ما هو محرم كالتى فيها أسماء لا يفهم معناها لانها تجر إلى الشرك .

وأما التعاليق التى فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها لعدم وُرُودها عن الشارع ، ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم ، ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها ويدخل فيها المواضع القذرة . أما الرقى ففيها تفصيل :

و « التِّوَلة » هي شيءٌ يَصْنعُونه يَزْعُمُون أنه يُحبِّبُ المرأة إلى زوجها والرجلَ إلى امرأتِهِ .

وروى أحمد عن رُويفع قال : قالَ لي رسُولُ الله ﷺ : « يا رُوَيْفِع لَعَلّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ فأخْبِرْ النَّاسَ أنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فَإن مُحمَّدًا بريءٌ مِّنه » .

وعن سعيد بن جبير قال :

« مَنْ قطع تَمِيمَةَ إنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ » رواه وكيع .

وله عَنْ إبراهيم قال :

كانوا يكرَهُونَ التمائمَ كلَّها مِنَ القرآن وغير القرآن .

فان كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة فى حق الراقى لأنها من باب الإحسان ، ولما فيها من النفع ، وهى جائزة فى حق المرقى إلا أنه لا ينبغى له أن يبتدىء بطلبها ، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحدًا من الخلق لا رقية ولا غيرها ، بل ينبغى إذا سأل أحدًا أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعى والإحسان إليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه ، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التى لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكُمَّل من العباد .

وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الأكبر لأنه دعاء واستغاثة بغير الله .

فافهم هذا التفصيل ، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها فى أسبابها وغاياتها .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التوِلة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك .

الخـامسـة : أن التميمـة إذا كانت من القـرآن ، فقـد اختلف العلماء هل هى من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على مَنْ علّق وَتَرًا .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .

التـاسعـة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود .

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ الآيات [1] .

عن أبى واقد الليثى قال : « خرجْنا مع رسول ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ! وللمشركين سِدرَة يعكفون عندها وَيَنُوطُون بهـا أسلحتهم يقـال لها ذات أنواط ! فمرَرْنا بسدرة فقلنا : يا رسول

(١) الآيات ١٩ ـ ٢٢ من سورة النجم .

الله اجعـلْ لنـا ذات أنواط ! كمَا لهم ذاتُ أنوط . فقال ﷺ : « اللّهُ أكبَر إنهـا السُّنَن قُلْتم ـ والـذي نفسي بيَـدِه ـ كمَا قالت بَنُو إسرائيل لمُوسى : ﴿ اجْعَل لَنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(١) لَتركَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » رواه الترمذي وصححه .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذى طلبوا .

(باب من تبرَّك بشجر أو حجر ونحوهما)

أى فإن ذلك من الشرك ، ومن أعمال المشركين ، فإن العلماء اتفقوا على أنـه لا يشـرع التـبرك بشىء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها . فإن هذا التبرك غُلُوٌّ فيها وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها ، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه ، وهذا عام فى كل شىء حتى مقـام إبـراهيم وحجـرة النبى ﷺ وصخـرة بيت المقـدس وغيرها من البقع الفاضلة .

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى من الكعبة المشرفة فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته فهو روح التعبد .

فهذا تعظيمٌ للخالق وتعبدٌ له ، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له .

فالفـرق بين الأمـرين كالفـرق بين الـدعـاء لله الـذى هو إخلاص وتوحيد ، والدعاء للمخلوق الذى هو شرك وتنديد .

---

(١) من الآية ١٣٨ : الأعراف .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أنَّ لهم مِنَ الحسنات والوَعْدِ بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : أن النبى ﷺ لم يَعْذُرْهم ! بل رَدَّ عليهم بقوله : «الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم » فغلظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلها .

التاسعة : أن نفى هذا من معنى (لا إله إلا الله) مع وقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : أنه حَلَفَ على الفتيا وهو لا يحلف إلَّا لمصلحة .

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ، لأنهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قوله (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النَّهْيُ عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغَضَبُ عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية . لقوله (إنها السنن) .

باب قول الله تعالى

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ الآية(١).

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ الآية(٢).

وفى الصحيح عن أنس قال : « شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وكُسِرَتْ رباعيتُه ، فقال : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهم ؟ فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وفيه عن ابن عمرَ رضى اللهُ عنهما : أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : إذا رفع رأسَه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر « اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاناً وفُلاناً : بعدما يقول : سَمِعَ الله لمن حَمِدَه رَبَّنا وَلَكَ الحمدُ » فأنزلَ الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾(٣).

(بـاب قـول الله تعالى)

(أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ)

هذا شروع فى براهين التوحيد وأدلته ، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره .

---

(١) الآية ١٩١ وصدر الآية ١٩٢ : الأعراف .

(٢) من الآية ١٣ : فاطر .

(٣) من الآية ١٢٨ : آل عمران .

وفي رواية : يدْعُو علَى صَفْوان بْنِ أميّة وسُهَيل بْن عَمْرو والحَارث بْن هِشَام ، فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال قام رسولُ الله ﷺ حين أُنزِلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(١) فقال : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أو كلمة نحوَها — اشْتَرُوا أنفسَكم لَا أُغْني عَنكُم مِنَ الله شيئًا ، يا عبَّاسُ بنَ عَبْدِ المُطَّلِب لا أُغْني عَنْكَ مِنَ الله شيئًا ، يا صفيةُ عمَّةَ رسولِ الله ﷺ ، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئًا ، ويا فاطمةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي من مَالِي ما شئت لا أُغْني عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً .

فتقدم أن التوحيدَيْن . توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفردُ بالخلق والتدبير ، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذى لا يستحق العبادة سواه .

وكذلك من براهين التوحيد، معرفة أوصاف المخلوقين ، ومَنْ عُبِدَ مع الله، فإن جميع ما يُعْبَد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها،كلهم فقراء إلى الله ، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق المدبر للأمور كلها الضَّارُّ النافع المعطى المانع الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع كل شيء وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء .

فأيُّ برهانٍ أعظمُ من هذا البرهان الذى أعاده الله وأبداه في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو دليل عقلى فِطْرِيٌّ كما أنه دليل سمعى نقلى على وجوب توحيد الله وأنه الحق ، ودليل كذلك على بطلان الشرك .

(١) الآية ٢١٤ : الشعراء .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ﴾ .

الثانية : تفسير ﴿فصلّ لربّك وٱنحرْ﴾ .

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الـرابعـة : لَعْن من لعن والدَيْهِ ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لَعْن من آوى مُحْدِثًا . وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله ، فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك .

الـسـادسـة : لعْن من غير مَنَـارَ الأرض ، وهى المـراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض . فتغيرها بتقديم أو تأخير .

السـابعـة : الفـرق بين لعن المعـين ولعن أهـل المعاصي على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهى قصة الذباب .

التاسعة : كونه دَخَل النَّار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلّصًا من شرّهم .

العـاشـرة : معـرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين ، كيف صبر

(كُلُّ وَسيلَةٍ وذريعـةٍ يُتَطَـرَّقُ مِنْهَـا إِلَى الشِّرْكِ الأكبرِ مِنَ الإرادات والأقْوالِ والأفعَال التي لم تَبْلغ رُتْبةَ العِبَادَةِ) .

فعليـك بهذين الضـابطين للشرك الأكبر والأصغر ، فإنه مما يعينك على فهم الأبـواب السـابقـة واللاحقة من هذا الكتاب ، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التى يكثر اشتباهها والله المستعان .

ذلـك على القتـل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبـوا إلا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذى دَخَل النارَ مسلم ، لانه لو كان كافرًا لم يقل دخل النار فى ذباب .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقربُ إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثـالثـة عشـرة : معـرفـة أن عمل القلبِ هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأصنام .

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ الآية(١) .

وعن ثابت بن الضحَّـاك رضى الله عنـه قال : « نَذَرَ رجـلٌ أن ينحر إبلًا ببوانه ، فسأل النبي ﷺ فقال : هَلْ كان فيها وَثَنٌ مِنْ أوثان

(باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)

ما أحسن اتبـاع هذا البـاب بالبـاب الـذى قبله فالـذى قبله من المقـاصـد ، وهـذا من الـوسائل ، ذاك من باب الشرك الأكبر ، وهذا من وسـائـل الشـرك القريبة فإن المكان الذى يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربًا إليهـا وشـركـا بالله قد صار مَشْعَرًا من مشاعر الشرك ، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحةً ولو قصدها لله فقد تشبه بالمشركين وشاركهم فى مشعرهم ، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم .

---

(١) صدر الآية ١٠٨ : التوبة .

الجَـاهِلِيّـة يُعْبَــد ؟ قَالـوا : لَا . قال : فهـل كان فيهـا عيـدٌ من أعيَـادهم ؟ قالـوا : لا . فقال رسولُ الله ﷺ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فإنه لا وَفَـاء لنَـذْر فى معصيَـة الله ولا فيمَـا لا يَمْلكُ ابنُ آدم » رواه أبـو داود واسناده على شرطهما .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير قوله ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ .

الثانية : أن المعصية قد تُؤثِّر فى الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال .

الرابعة : استفصال المفتى إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : أن تخصيصَ البقعةِ بالنذر لا بَأسَ به إذا خَلَا من الموانع .

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولوبعد زواله .

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

ومن هذا السبب نهى الشـارع عن مشـابهـة الكفـار فى شعـارهم وأعيـادهم وهيئـاتهم ولبـاسهم وجميع ما يختص بهم إبعادًا للمسلمين عن الموافقة لهم فى الظاهر التى هى وسيلة قريبة للميل والركون إليهم ، حتى أنه نهى عن الصلاة النافلة فى أوقات النهى التى يسجد المشركون فيها لغير الله خوفاً من التشبه المحذور .

الثامنة : أنه لا يَجُوز الوفاء بها نذر فى تلك البقعة لأنه معصية .
التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ، ولو لم يقصده .
العاشرة : لا نَذْرَ فى مَعْصِية .
الحادية عشرة : لا نَذْرَ لابن آدمَ فيمَا لا يمْلك .

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾(1) .
وقوله ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾(2) .
وفى الصَّحيح عنْ عَائشةَ رَضِىَ الله عنْهَا أن رَسُولَ الله ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ أن يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَّذَرَ أن يَعْصِىَ اللَّهَ فلاَ يعْصِه » .

فيـــه مســـائل

الأولى : وجوبُ الوفاء بالنذر .
الثانية : إذا ثبتَ كونه عِبَادة لله فَصَرْفُهُ إلى غيره شرك .
الثالثة : أنَّ نذْر المعصية لا يجوز الوفاء به .

---
(1) صدر الآية ٧ : الانسان .
(2) صدر الآية ٢٧٠ : البقرة .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[1] .

وعن خولة بنت حكيم رضيَ الله عَنْها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ : مَنْ نَزَلَ منزلاً ، فقال أعوذُ بكلمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ ، لم يَضُرُّه شَيْءٌ حَتَّى يرْحلَ منْ مَنزلِهِ ذلك . رواه مسلم .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء يَسْتَدِلُّون به على أن كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

(باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)

متى فهمت الضابط السابق فى حد الشرك الأكبر[2] وهو ان (مَنْ صَرَفَ شَيْئاً مِنَ العِبَادَةِ لِغَيْرِ الله فَهُوَ مُشرك) فهمت هذه الأبواب الثلاثة التى وَالىٰ المصنف بيانها . . . .

---

(١) الآية ٦ : الجن .

(٢) تقدم ص ٤٤ .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصلُ به منفعة دنيوية ، من كفّ شرٍّ أو جلبِ نفعٍ لا يدلُّ على أنه ليسَ منَ الشرك .

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ . وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية[1] .

وقوله : ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ الآية[2] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآيتين[3] .

فإن النذر عبادة مدح الله الموفين به ، وأمر النبيُّ ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة ، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة .

فإن العبادة (اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ الله ويَرْضَاهُ مِنَ الأَعْمَالِ والأقْوالِ الظَاهِرَةِ والبَاطِنَةِ) والنذر من ذلك .

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحْدَه من الشرور كلها ، وبالاستغاثة

---

(١) الآية ١٠٦ وصدر الآية ١٠٧ : يونس .

(٢) من الآية ١٧ : العنكبوت .

(٣) صدر الآية ٥ : الأحقاف .

وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[1] .

ورَوَى الطبَراني بإسنَـادِهِ : أَنَّـه كان فى زمن النبيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذى المُـؤمنينَ فقـال بعْضُهُم قومُـوا بنَا نَسْتَغِيث برَسُولِ الله ﷺ من هذا المُنافِق فقال النبيُّ ﷺ : إِنه لا يُسْتَغَاثُ بي وإنما يُسْتغاثُ باللّهِ .

فيـــه مســـائل

الأولى : أنَّ عطفَ الـدُّعَـاءِ عَلى الاستغـاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ .

الثالثة : أن هَذا هُوَ الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصْلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين .

به فى كل شدة ومشقة ، فهذه إخلاصُها لله إيمانٌ وتَوْحِيدٌ وصرفها لغير الله شرك وتنديد .

والفـرق بين الـدُّعَـاء والاستغـاثـة،أن الـدُّعـاء عام فى كل الأحوال والاستغاثة هى الدعاء لله فى حالة الشدائد ، فَكُلٌّ ذلك يتعين إخلاصه لله وحده ، وهو المجيب لِدعاء الدّاعين المفرج لكربات المكروبين ، ومن دعا غيره من نبى أوملك أوولي أوغيرهم أو استغـاث بغـيرِ الله فيـما لا يقـدر

---

(1) صدر الآية ٦٢ : النمل .

الخامسة : تفسير الآية التى بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفرًا .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغى إلّا مِن الله ، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دَعَا غيرَ الله .

الحادية عشرة : أنه غافلٌ عن دُعَاءِ الدّاعِى لا يَدْرِى عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدَّعْوَة سببٌ لبغض المدْعُوِّ للداعى وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدّعوة عبَادة للمدعُوِّ .

الرابعة عشرة : كفر المدعُوِّ بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور هى سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو إقرار عَبَدَةِ الأوثان بأنه لا يجيب المضطرّ إلا اللهُ ، ولأجلِ هذا يدعُونَهُ فى الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حِمَى التَّوحِيد والتأدب مع الله .

عليه إلا الله فهو مشرك كافر ، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضا من العقل ، فإن أحدًا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل فقراء إلى الله فى كل شئ وهم .

الثامنة عشرة : أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كلّ ما ذَمَّ الله به اليهودَ والنصارى فى القرآن انه لنا .

العشرون : أنه مقرر عندهم أن العبادات مَبْنَاها على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما من ربك فواضح وأما من اخباره بأنباء الغيب ، وأما ما دينك فمن قولهم (اجعل لنا إلها الخ) .

الحادية والعشرون : أن سُنةَ أهلِ الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون : أن المنتقلَ مِنَ الباطل الذى اعتاده قلبُه لا يُؤْمَنُ أن يكون فى قلبه بقيةٌ من تلك العادة ، لقولهم (ونحْنُ حُدثاءُ عهْد بكفر) .

باب ما جاء فى الذبح لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ الآية[1].

وقوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[2].

عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال : « حدثني رسولُ الله ﷺ بأربع كلمات : لَعَنَ اللَّهُ منْ ذَبَح لِغَيْرِ اللَّه ، لَعَنَ اللَّه مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ،

(١) الاية ١٦٢ وبعض الاية ١٦٣ : الانعام .
(٢) الاية ٢ : الكوثر .

لَعَنَ ٱللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ منار الأرض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال : « دَخَلَ الجنَّةَ رجُـلٌ فى ذبـاب ، ودخـل النـارَ رَجُلٌ فى ذباب . قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرَّ رجُلان عَلىٰ قَوْم لهم صَنَمٌ لا يجُوزه أحدٌ حتَّى يقـرِّب له شيئًا ، فقالوا لِأَحَدِهِمَا قرِّب فقال ليس عندي شيء أُقرِّبُ قالـوا له : قرِّب ولـوذُبَابـًا ، فقـرَّبَ ذُبابًا ، فَخَلَّوْا سبيلَه فَدَخَل النَّارَ وقالوا للآخر : قَرِّب . فقال : ما كنتُ لِأُقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دون الله عز وجل ، فضَرَبُوا عنقَه فدخلَ الجَنَّةَ » رواه أحمد .

(باب ما جاء فى الذبح لغير الله)

أى أنه شرك ، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة فى الأمر بالذبح لله ، وإخـلاص ذلـك لوجهه ، كما هى صريحة بذلك فى الصلاة فقد قرن الله الذبح بالصلاة فى عدة مواضع من كتابه .

وإذا ثبت أن الذبح لله مِنْ أَجَلِّ العِبادات وأكبر الطاعات ، فالذبح لغير الله شرك أكبر مُخرجٌ عن دائرة الإسلام .

فإن حَدَّ الشرْك الأكبر وتفسيره الذى يجمع أنواعه وأفراده .

(أَنْ يَصْرِفَ العَبْدُ نَوْعاً أَوْ فَرْدًا مِنْ أَفْرادِ العِبَادَةِ لِغَيْرِ ٱلله)

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمورٌ به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان واخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر .

فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذى لا يشذ عنه شىء .

كما أن حد الشرك الأصغر هو .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

الثالثة : قُنُوت سيد المرسلين وخلفه ساداتُ الأولياءِ يُؤَمِّنُون فى الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالبُ الكفار منها : شجُّهُمْ نبيَّهُم وحرصُهُم على قتله ، ومنها التمثيلُ بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل اللهُ عليه فى ذلك ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ .

السابعة : قوله ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت فى النزول .

التاسعة : تسمية المدعُوِّ عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لَعْن المعَيَّن فى القنوت .

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفعَ أقربِ الخلق إليه وأمسِّهم به رحما فكيف بغيره ؟ فتبا لمن أشرك بالله وساوى به أحدًا من المخلوقين ، لقد سُلِبَ عقلُه بعدما سُلِبَ دينه .

فنُعُوتُ البارى تعالى وصفاتُ عظمته وتوحده فى الكمال المطلق أكبرُ برهانٍ على أنه لا يستحق العبادة إلا هو .

الحادية عشرة : قصته ﷺ لما أُنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ .

الثانيـة عشـرة : جده ﷺ فى هذا الأمر بحيث فعل ما نُسِب بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مُسلم الآن .

الثالثة عشـرة : قوله للأبعد والأقرب « لا أُغني عَنْكَ مِنَ الله شيئًا » حتى قال « يافـاطِمَـةُ بنتَ محمـد لا أغني عنك من الله شيئا » فإذا صرح — وهو سيد المرسلين — بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العـالمين ، وآمن الإنسـان أنـه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع فى قلوبُ خواصِّ الناس اليوم ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

باب قـول الله تعالى

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُـواْ : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُواْ : ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] .

وكـذلـك صفـات المخلوقـات كلهـا ، ومـا هي عليـه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها فى كل شؤونها ، وأنه ليس لها من الكمال . إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلٰهية شيء منها .

فمَن عرف الله وعـرف الخلق اضطرتـه هذه المعـرفة إلى عبادة الله وحـده ، وإخـلاص الـدين له والثنـاء عليـه ، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفًا ورجاءً وطمَعًا والله أعلم .

---

(١) من الآية ٢٣ : سبأ .

وفي الصَّحيـح عن أبي هُرَيْـرَة رَضِيَ الله عَنْـهُ عن النبي ﷺ قال : إذا قضَى اللَّهُ الأمرَ في السَّمَاءِ ضَرَبتْ الملائكـةُ بأجنحَتِهَا خُضْعَاناً لقوله كأنه سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوانٍ ينفذهم ذلك ، حتى إذَا فُزِّعَ عن قلُوبِـهـم قالُـوا : ماذا قَالَ رَبكم ؟ قالـوا : الحَقَّ وَهُـوَ العَليُّ الكبيـر ، فيسْمعهـا مُسْتَـرِقُ السَّمْعِ ، ومُسْترقُ السَّمْع : هكذا بَعْضُهُ فَوْق بَعْضٍ ، وصفهُ سفيانٌ بكفه ، فَحَرَّفَهَا وبدَّد بين أصَابعِهِ فيسمَع الكلمـةَ فيلقيهَـا إلى مَنْ تحْتَـهُ ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيهـا على لِسَـان السَّاحر أو الكاهن ، فَرُبَّمَا أدركه الشهابُ قبل أن يُلقيهـا . وربمـا ألقَـاهَـا قبلَ أن يُدْركه ، فيكذب معها مائةَ كذبة ، فيقـال أَلَيْسَ قد قال لنَـا يَوْمَ كذا وكـذا كذا وكـذا : فَيُصَـدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماء) .

(بـاب قـول الله تعالى)
﴿ حَتَّى إذا فزع عن قلوبهم ﴾

وهــذا أيضًا برهـانٌ عظيم آخـر على وجـوب التـوحيـد وبطـلان الشـرك ، وهـو ذكـر النصـوص الـدَّالَّـة على كبريـاء الربِّ وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمةُ المخلوقاتِ العظيمة ، وتخضع له الملائكة والعالم العلوى والسفلى ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه أو تتبدى لهم بعض عظمتـه ومجـده ، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله ، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه ، فمن كان هذا شأنه فهو الرب الذى لا يستحق العبـادة أو الحمـد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو ، ومن سواه ليس له من هذا الحق شيء . فكـما أن الكـمال المطلق والكبريـاء

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إذَا أراد الـلَّهُ تعَـالى أن يُوحِيَ بالأمْـرِ و تكلم بالْـوَحْي أخـذت السموات منه رجفةً ـ أو قال ـ رعدةٌ شديدةٌ ـ خوفاً من الله عز جل فإذا سمع ذلك أهلُ السموات صُعِقُوا وخَرُّوا للهِ سُجَّدًا ، فيكون أولَ مَنْ يرفعُ رأسه جبريلُ فيكلمُه اللهُ من وحيه بما أرَادَ ، ثم يمر جبريلُ على المَـلائكـةِ : كلمـا مرَّ بسمَـاءٍ سأله ملائكتُها : ماذا قال ربُّنا يا جبريل ، فيقول قال : الحَقّ وهُوَ العليُّ الكبيرُ . فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ ، فينتهي جبريلُ بالوحْي إلى حيثُ أمَرَه اللهُ عَزَّ وجل) .

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك ، خصوصًا من تعلق على الصـالحـين ، وهى الآية التى قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله ﴿ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وهُو ٱلْعليُّ ٱلْكبيرُ ﴾ .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

والعظمـة ونعـوت الجـلال والجـمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره ، فكـذلـك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذى لا يشاركه فيه مشارك بوجه .

الخامسة : أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله — قال كذا وكذا .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشى يعم أهلَ السمواتِ كلَّهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضًا .

الثالثة عشرة : إرسال الشهب .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها فى أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يَصْدُق بعضَ الأَحْيَان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبه .

السابعة عشرة : أنه لم يُصَدَّق كذبُه إلا بتلك الكلمة التى سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاء .

الثامنة عشرة : قبولُ النُّفوسِ الباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : اثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشى خوفاً من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرون لله سُجَّدًا .

بــاب الشفاعــة

وقـول الله عز وجـل : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾(١) .

وقوله ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعاً ﴾(٢) .

وقوله ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾(٣) .

وقـوله ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾(٤) .

(بــاب الشــفاعة)

إنما ذكـر المصنف الشفاعة فى تضاعيف هذه الأبواب لأن المشركين يُبَرِّرُون شِرْكهم ودعـاءَهم للمـلائكـة والأنبيـاء والأوليـاء بقـولهم : نحن ندعوهم ، مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون ، ولكن حيث إن لهم عند الله جاهـًا عظيـمًا ومقـامـاتٍ عاليةً ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا

(١) من الآية ٥١ : الأنعام .
(٢) صدر الآية ٤٤ : الزمر .
(٣) من آية الكرسى رقم ٢٥٥ : البقرة .
(٤) الآية ٢٦ : النجم .

وقـولـه ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الآيتين[1] .

قال أبـو العبـاس : نفـى الله عمَّـا سِوَاه كُلَّ ما يتَـعلق به المشـركُون فنفى أن يكـون لغيـره مُلْك أو قسط منه ، أو يكون عونًا لله ، ولم يبق إلا الشفـاعـة : فبين أنهـا لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ كما قال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[2] .

فهـذه الشفـاعـة التى يظنهـا المشركُون هِي منتفية يَوْمَ القيامة كمَـا نفـاهـا القـرآن ، وأخبـر النبيُّ ﷺ : « أنَّـهُ يأتي فَيَسْجُـدُ لربـه ويحمده ــ لا يبدأ بالشفاعة أولًا ــ ثم يُقَالُ له : ارفعْ رَأْسَكَ ، وقل يُسْمعُ ، وسلْ تُعْط ، واشفع تُشفَّعْ » .

عنـده ، كما يتقـرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم .

وهـذا من أبطـل الباطل ، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذى يخافـه كل أحـد وتخضـع له المخلوقـات بأسـرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء فى تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم .

فأبطـل الله هذا الـزعم ، وبَيّن أن الشفاعة كلّها له ، كما أن الملك كله له ، وأنـه لا يشفـع عنـده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله ، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له .

فبيَّن أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة .

---

(١) الآيتان ٢٢، ٢٣ : سبأ .

(٢) من الآية ٢٨ : الأنبياء .

وقال أبو هريرة له ﷺ « مَنْ أسْعدُ الناسِ بشفاعَتِكَ ؟ قال : مَنْ قال لا إلــه إلا الله خالصــاً من قلبــه » فتلك الشفــاعــة لأهــل الإخْلاصِ بإذن الله ، ولا تكون لِمَنْ أشْرَكَ بالله .

وحقيقته أن الله سُبْحَانه هُوَ الذى يتفضَّلُ عَلَى أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دُعَاءِ مَنْ أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود .

فالشفــاعَــة التى نفــاهــا القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعةَ بإذنه فى مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . اهـ كلامه .

وبـين أن الشفـاعـة المثبتـة التى تقـع بإذنـه إنما هى الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنها كُلَّها منه ، رحمة منه ، وكرامة للشافع ، ورحمة منه وعفوًا عن المشفوع له ، وأنه هو المحمود عليها فى الحقيقة ، وهو الذى أذن لمحمد ﷺ فيها وأنَالَهُ المقامَ المحمود .

فهذا ما دل عليه الكتابُ والسنة فى تفصيل القول فى الشفاعة .

وقـد ذكـر المصنف رحمـه الله كلامَ الشيخ تقى الدين فى هذا الموضع وهو كاف شاف .

فالمقصود فى هذا الباب ذكرُ النصوص الدالة على إبطالِ كُلِّ وسيلة وسبب يَتَعَلَّقُ به المشـركـون بآلهتهم ، وأنـه ليس لها من الملك شىء ، لا استقـلالاً ، ولا مشـاركـةً ، ولا معـاونـةً ، ولا مظاهرةً ، ولا مِنَ الشفاعة شىءٌ . وإنما ذلك كله لله وحده ، فتعيَّنَ أن يكون المعبودُ وَحْدَهُ .

فيــــه مســــائل

الأولى : تفسير الآيات .
الثانية : صفة الشفاعة المنفية .
الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .
الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود .
الخامسة : صفة ما يفعله ﷺ وأنه لا يَبْدأ بالشفاعة ، بل يسجد فإذا أُذِنَ له شفع .
السادسة : من أسعد الناس بها .
السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .
الثامنة : بيان حقيقتها .

باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

وفي الصَّحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أبَا طالبٍ الوفاةُ جاءَهُ رسولُ الله ﷺ وعنده عبْدُ الله بنُ أبي أمية وأبو جهلٍ . فقال له : يا عمِّ قُلْ لا إله إلَّا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عنْد الله فقالَا له : أترْغبُ عن مِلَّةِ عبْدِ المطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ .

باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

وهذا الباب أيضاً نظيرُ الباب الذى قبله ، وذلك أنه إذا كان ﷺ هو أفضل الخلق على الإطلاق وأعظمُهم عند الله جاهًا وأقربُهم إليه وسيلةً لا يقدر على هداية من أحبَّ هداية التوفيق . وإنما الهداية كلها بيد الله فهو

فأعادا . فكانَ آخِرَ ما قال: هُو عَلَى مِلَّةِ عبْدِ المطلب وأبى أن يقول: لا إلـه إلا الله فقـال النبي ﷺ : لأستغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عَنْك ، فأنزل الله عز وجـل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] وأنزل فى أبى طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[2] .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية .

الثانية : تفسير قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية .

الثالثة : وهى المسألة الكبيرة تفسير قوله (قل لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الله) بخلاف ما عليه من يدّعى العلم .

الـرابعـة : أن أبـا جهـل ومن معـه يَعْرِفُون مُرادَ النبي ﷺ إذا دَخَلَ قال للرجـل (قل لا إلـه إلا الله) فقبّحَ الله مَنْ أبُو جَهْلٍ أعْلَم منه بأصْل الإسْلام .

الخامسة : جِدُّهُ ﷺ ومبالغته فى إسلام عمه .

الذى تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق المخلوقات فتبين أنه الإله الحق .

وأما قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] .

فالمراد بالهداية هنا هداية البيان ، وهو ﷺ المبلغ عن الله وَحْيَهُ الذى اهتدَى به الخلقُ .

---

(١) صدر الآية ١١٣ : التوبة .

(٢) صدر الآية ٥٦ : القصص .

(٣) من الآية ٥٢ : الشورى .

السادسة : الرد على منْ زَعَمَ إسلامَ عبدِ المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له ، بل نهي عن ذلك .

الثامنة : مضرة أَصْحَاب السوء على الإنسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمُبطلين فى ذلك لاستدلال أبى جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهِدُ لكَوْنِ الأعمالِ بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل فى كِبَرِ هذه الشبهة فى قُلُوب الضَّالِّين لأن فى القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره ، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

باب ما جاء أنَّ سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغُلُوّ فى الصَّالحين

وقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾(1) .

وفى الصَّحيح عن ابن عبَّاس رضيَ الله عنهمَا فى قول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ، وَلَا سُوَاعاً ، وَلَا يَغُوثَ ، وَيَعُوقَ ، وَنَسْرًا ﴾(2) قال : « هَٰذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ

(1) صدر الآية ١٧١ : النساء .

(2) الآية ٢٣ : نوح .

مِنْ قوم نوح فلمَّـا هَلَكـُوا أَوْحَى الشيطـانُ إلى قومهم أن انصبُـوا إلى مجـالسهم التي كانوا يَجْلِسُون فيها أنصَابًا وسَمُّوهَا بأسْمَائهم فَفَعَلُوا ولم تُعْبد حَتَّى إذَا هَلَكَ أُولَئكَ ونُسِي العِلْمُ عُبِدَتْ » .

وقـال ابنُ القيم ــ قال غيـرُ واحـدٍ من السلف: لمَّا مَاتوا عَكَفُوا على قُبُورهم ثم صَوَّرُوا تماثيلَهُم ثم طَالَ عليهم الأمدُ فَعَبَدُوهُمْ .

وعن عمر ــ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ ــ « لا تُطْروني كَمَا أَطْرَتْ النصارى ابنَ مَرْيَم إنَّما أنا عَبْد ــ فقولُوا عَبْد الله ورَسُولَه » أخرجاه .

وقـال ــ قال رسـول الله ﷺ : « إيَّـاكم والغُلُوّ فإنمَّا أهلك من كان قَبْلَكُم الغُلوّ » .

ولـمـسـلم عن مسعــود ــ أن رســول الله ﷺ قال ــ « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قالها ثلاثا .

(باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغُلُوُّ فى الصَّالحين)

والغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شىء ، فإن حق الله الـذى لا يشـاركـه فيه مشارك ، هو الكمال المطلق ، والغِنَى المطلق والتصـرف المطلق ، من جميـع الـوجـوه ، وأنـه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه .

فمن غلا بأحدٍ من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء فقد ساوى به ربَّ العالمين ، وذلك أعظم الشرك .

فيـــه مســـائل

الأولى: أن مَنْ فَهِمَ هذا البابَ وبابين بَعْده تبيَّن له غُرْبة الإسلام ورأى من قُدْرَةِ الله وتقلِيبِهِ لِلقلُوب العَجَبَ.

الثانية: معرفةُ أن أوّلَ شركٍ حَدَثَ عَلى وَجْهِ الأرضِ كَان بشُبْهةِ الصَّالحين.

الثالثة: مَعْـرفـةُ أوّلِ شَىءٍ غُيِّرَ به دينُ الأنبياء، وسَبَبُ ذلك مع معْرفة أنَّ اللهَ أرسَلَهُمْ.

الرابعة: مَعْرفةُ سببِ قَبُولِ البِدَع مع كَوْن الشّرَائِع والفِطَر تردها.

الخامسة: أن سَبَبَ ذلك كله مَزْجُ الحق بالباطل.

فالأول: محبة الصالحين.

والثانى: فِعْل أُنَاسٍ مِنْ أهْلِ العِلْم والدِّين شَيْئاً أرادُوا بِهِ خَيْراً فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أنهُم أرَادُوا به غيرَه.

السادسة: تفسيرُ الآية التى فى سُورة نوح.

السابعة: مَعْرفةُ جِبلَّةِ الآدَمِىِّ فى كَوْنِ الحق يَنْقُصُ فى قَلْبِه والباطل يزيد.

الثامنة: إن فيها شاهداً لما نُقِلَ عَن بعْضِ السَّلَف أنَّ البِدْعَة سَبَبٌ للكفر، «وأنها أحبُّ إلىٰ إبليسَ مِنَ المعْصِيَة، لِأن المعصيَة يُتابُ منها، والبِدْعَة لا يُتابُ منها».★

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حَسُنَ قصد الفاعل.

العـاشـرة: معـرفة القاعدة الكُلِّية وهى النهى عن الغُلُوِّ ومعرفة ما يؤول إليه.

★ يراجع كتاب تيسير العزيز الحميد - «فى نفس الباب».

الحادية عشرة: مَضَرَّةُ العُكُوف عَلَى القبر لأَجْلِ عَمَلٍ صالح.
الثانية عشرة: معرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى إزالتها.
الثالثة عشرة: مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأْنِ هذه القصَّة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهى ـ أعجب العجب ـ قراءتُهُمْ [أى أهل البدع] إيَّاها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريحُ بأنهُمْ لم يُرِيدُوا إلا الشفاعة.
السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أرادوا ذلك.
السابعة عشرة: البيَان العظيمُ في قوله: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَت

ومن رفع أحداً من الصالحين فوق منزلته التى أنزله الله بها فقد غلا فيه وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

والناس فى معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله بها.

وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

والصالحون أيضًا يتبرؤون من أن يَدَّعُوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم الخاصَّة، كما قال الله عن عيسى ﷺ ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾.

النصارى ابنَ مَرْيَم» فصلوات الله وسلامه عليه بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحتُه إيَّانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعْبَد حتى نُسِيَ العِلْمُ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده !!

في الصحيح عن عائشة «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرضِ الحبشة وَمَا فيها مِنَ الصور فقال: أُولَئكَ إِذَا مَاتَ

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حق خَاصٌّ لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التألُّهُ لَهُ وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبًا وخوفاً ورجاءً.

وحق خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعًا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبوديَّة الله وإخلاص الدِّين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم: والله أعلم.

فيهم الرجلُ الصَّالحُ أو العَبْدُ الصَّالحُ بَنَوْا عَلىٰ قبره مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فيـه تِلْكَ الصُّـور . أولئك شِرَارُ الْخَلْق عِنْد الله » فهؤلاء جَمَعُوا بين الفِتْنَتَيْن ، فتنةِ القبور ، وفتنةِ التماثيل .

ولهُمَـا عنهـا قالت « لمّـا نُزل برسـول الله ﷺ طَفِقَ يطـرح خميصـةً له عَلى وجهـهِ فإذا اغتَمَّ بها كشفَهَا فقالَ وهو كذلك : لَعْنَةُ الله عَلى اليهودِ والنَّصَارى ، اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ . يُحذِّرُما صَنعُوا ، وَلَوْلا ذلك أبرز قَبْرَه غير أنه خشى أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » . أخرجاه .

باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده !!

باب ما جاء أن الغلُوَّ في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعْبَدُ من دون الله .

ما ذكر المصنف فى البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم .

وذلك أَنَّ مَا يُفْعَل عِندَهَا نوعان : مشروع وممنوع .

أما المشرُوع فهـو ما شرعـه الشـارع من زيـارة القبور على الوجه الشـرعى من غير شَدِّ رَحْـلٍ ، يزورهـا المسلم متَّبِعًـا لِلسُّنَّـةِ فيدْعُو لأهلها عمـومًـا ولأقـاربه ومعارفه خصوصًا فيكون مُحْسِنًا اليهم بالدعاء لهم وطلب العفـو والمغفـرة والـرحمة لهم ، ومُحْسِنًا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ .

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعتُ النبي ﷺ قبل أن يَمُوتَ بخمسٍ وهو يقول (إنِّي أَبْرأُ إلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي منكم خليلٌ فإن الله قد اتَّخذني خَليلاً كما اتخذ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ولو كنتُ مُتَّخِذًا من أمتي خَليلاً لاتخذت أبَا بَكْرٍ خَليلاً ، ألا وإنَّ منْ كان قبلكم كانوا يَتَّخِذُون قبورَ أنبيائهم مَسَاجد ، ألا فلا تتخذُوا القبورَ مَسَاجِدَ فَإني أنهاكُمْ عَنْ ذَلِكَ) .

فقد نهى عنه آخر حياته ، ثم أنه لَعَنَ — وهو فى السياق — من فعله ، والصَّلاة عِندَها مِن ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قوله « خَشِيَ أن يتخذ مَسْجِدًا » فإن الصَّحَابة لم يكونُوا ليبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُّخِذَ مَسْجِدًا ، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا ، كما قال ﷺ « جعلت لى الأرضُ مسْجدًا وطهورًا » .

ولأحمدَ بسَنَدٍ جَيِّد عن ابن مسعود رضِىَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً : « إنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُم السَّاعَة وَهُمْ أَحْيَاء ، والَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القبُورَ مَسَاجِدَ » ورواه أبو حاتم فى صحيحه .

وأما الممنوع فإنه نوعان :

أحدهما محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها ، والصلاة عندها ، وكإسراجها والبناء عليها ، والغلو فيها وفى أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة .

والنوع الثانى شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم ، فهذا شرك أكبر ، وهو عين ما يفعله عُبّادُ الأصنام مع أصنامهم .

فيــــه مســـائل

الأولى : ما ذكر الرسولُ فيمَن بنى مسجدًا يُعْبدُ الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهى عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك .

الثالثة : العبرة فى مبالغته ﷺ فى ذلك وكيف بَيَّنَ لهم هذَا أولًا ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان فى السِّيَاق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العِلَّة فى عدم إبراز قبره .

التاسعة : فى معنى اتخاذها مَسْجِدًا .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مَسْجِدًا وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره فى خطبته قبل موته بخمس،الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض أهل العلم

ولا فرق فى هذا بَيْنَ أن يعتقدَ الفاعلُ لذلك أنهم مستقلون فى تحصيل مطالبه ، أومتوسطون الى الله ، فإن المشركين يقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾(1) و ﴿ يَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ .

---

(1) من الآية ٣ : الزمر .

من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بُلِىَ به رَسُولُ الله ﷺ من شدة النزع .

الثالثة عشرة : ما أُكْرِمَ به من الخلة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصِّدّيق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته .

باب ما جاء أن الغُلُوَّ فى قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعْبَدُ من دون الله

روى مالكٌ فى المُوَطأ : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : (اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ . اشتدَّ غَضَبُ اللهِ على قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائهم مَسَاجِد) ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن

فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد انهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر ، وان من اعتقد ان الله هو الفاعل وانهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم[1] يكفر .

من زعم ذلك فقد كَذَّبَ ما جاء به الكتابُ والسنة ، وأجمعت عليه الأمة مِنْ أنَّ مَنْ دَعَىٰ غيرَ الله فهو مشرك كافر فى الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين .

---

(١) لعله — لم يكفر .

مجاهـد (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّـٰتَ وَالْعُزَّىٰ) قال : كان يلت لهم السويق ، فمات ، فعكفوا على قبره .

وكـذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يَلِتُّ السَّويقَ لِلْحَاج . وعن ابن عبَّاس رَضِيَ الله عنهما قال : لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زائراتِ القُبُورِ والمتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المسَاجِدَ والسُّرُجَ . رواه أهل السنن .

(فيـــه مســائل)

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يَخَافُ وقوعه .

الرابعة : قَرْنُهُ بهذا اتخاذَ قبورِ الأنبياءِ مَسَاجِدَ .

الخامسة : ذِكْرِ شدَّةِ الغضب من الله .

السادسة : وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنَّهُ قبرُ رَجُلٍ صالح .

الثامنة : انه اسم صاحب القَبر ، وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعْنه زوَّاراتِ القبور .

العاشرة : لعنه مَنْ أسْرَجها .

وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام .

فعليـك بهذا التفصيـل الذى يحصل به الفرقان فى هذا الباب المهم الذى حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل ، ولم ينج من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه .

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جَنَابَ التوحيد وسَدِّه كلَّ طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ الآية(1).

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تجْعلُوا بيوتَكم قبورًا ولا تجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فإِنَّ صَلَاتكُمْ تَبْلُغني حيْثُ كُنتمُ » رواه أبو داود باسناد حسن ورواته ثقات .

وعن علي بن الحسين رضى الله عنه (أنهُ رأى رَجُلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ؟ فيدْخل فيها فيدعو ، فنهاه .

وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعْتُه من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : « لا تَتَّخِذُوا قبْري عيداً ، ولا بُيُوتَكُم قُبُوراً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فإنَّ تَسْلِيمَكَمْ يَبْلغُني حَيْثُ كُنْتُمْ » رواه فى المختارة .

(باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ) (جَنَابَ التوحيد وسَدِّه كُلَّ طريقٍ يوصِّلُ إلى الشرك)

من تأمل نصوص الكتاب والسنة فى هذا الباب رأى نصوصًا كثيرة تحث على القيام بكل ما يُقَوِّى التوحيدَ وينميه ويغذيه من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبةً ورهبةً ، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعى لتحصيل ذلك وإلى التحرر من رق المخلوقين

(1) من الآية ٢٨ : التوبة .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : ابعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الـرابعـة : نهيـه عن زيـارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الاكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة فى البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة .

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد فلا حاجة إلى ما يتوهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ .

التـاسعـة : كونـه ﷺ فى البَرْزَخ تُعرض أعمالُ أمته فى الصلاة والسلام عليه .

وعـدم التعلق بهم بوجـهٍ من الـوجـوه أو الغلوّ فى أحـد منهم ، والقيام التام بالأعـمال الظـاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصًا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده .

ثم فى مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين .

ونهى عن التشبه بالمشركين لأنه يدعو إلى الميل إليهم .

ونهى عن أقـوال وأفعـال يُخْشَى أن يُتَـوَصَّلَ بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد .

ونهى عن كل سبب يوصـل إلى الشـرك ، وذلـك رحمـةً بالمـؤمنـين

باب مَا جَاء أن بعْضَ هذه الأمة تعبد الأوثان

وقولـه تعـالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2] .

وقـولـه تعـالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ، لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[3] .

عن أبي سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لتتبعُنَّ سُنَنَ مَنْ كان قبلَكُم ، حَذْوَ القـذَّة بالقـذَّة حَتَّى لو دَخَلُوا جُحْـرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوه . قالُوا يا رسُولَ الله ، اليهودَ والنصارَىٰ ؟ قال : فَمَنْ ؟ » أخرجاه .

ليتحققـوا بالقيـام بما خلقـوا له من عبـوديّـة الله الظاهرة والباطنة وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح .

وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة .

(باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان)

مقصـود هذه الـترجمة الحذر من الشرك والخوف منه ، وأنه أمر واقع في هذه الأمـة لا محالـة ، والـرد على من زعم أن من قال : لا إلـه إلا الله

---

(١) صدر الآية ٥١ : النساء .

(٢) صدر الآية ٦٠ : المائدة .

(٣) من الآية ٢١ : الكهف .

ولمُسلم عن ثوبان رضى الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قال : « إن الله زَوَىٰ لِيَ الأرضَ ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زُوى لي منها ، وأُعطِيتُ الكنزيْن الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألتُ رَبيّ لأمتي أن لا يُهْلكها بسُنَّةٍ بعَامَّة ، وأن لا يُسَلِّط عليهم عَدُواً مِنْ سِوَى أنفسهِم فيستبيحَ بيضتَهم ، وإنَّ رَبِّي قال يا محمدُ إني إذا قضيْتُ قضاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ ، وإني أَعْطيتُك لأمتك أن لا أُهْلِكَهُم بِسنةٍ بعامة وأن لا أُسَلِّطَ عَلَيْهم عَدُواً مِنْ سِوَى أنفسِهم فيستبيحَ بيضَتَهم ، ولو اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بأقطارِهَا ، حَتَّى يَكون بعضُهم يُهْلِكُ بعضاً ويَسْبي بعضُهُم بعضاً » .

ورواه البرقاني فى صحيحه ، وزاد « وإنَّمَا أخاف عَلَى أمتي الأئمَّةَ المُضِلّينَ ، وإذا وقع عَلَيْهِمُ السيفُ لم يُرْفَعْ إلى يَوْمِ القيامة ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يلحق حَيٌ مِنْ أمتي بالمشركين ، وحَتَّى تَعْبُدَ فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأوثان ، وأنه سيكون في أمتي كَذَّابُون

وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم ، وسَمّىٰ ذلك تَوَسُّلاً لا عبادة فإن هذا باطل .

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عُبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية ، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين فى هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده ، فمن دَعَا غيرَ الله أو عبده فقد اتخذه وثنًا وخرج بذلك عن الدين ، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام ، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر منافق . والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامى والألفاظ التى لا حقيقة لها .

ثلاثون كلهم يَزْعُم أنَّه نبي وأنا خاتم النبيين ، لا نَبِيَّ بَعْدِي ، ولا تَزَالُ طَآئِفَة من أمتي عَلَى الحَق مَنْصُورَة لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خالفَهُم حَتَّى يأتِيَ أمْرُ الله تبارك وتعالى » .

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : وهى أهمها ، ما معنى الإيمان بالجبْت والطاغوت فى هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها .

الخامسة : قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرَهُمْ أهدى سبيلا من المؤمنين .

السادسة : وهى المقصود بالترجمة أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبي سعيد فى جموع كثيرة .

السابعة : تصريحه بوقوعها أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة .

الثامنة : العجب العجاب خروجُ من يدعى النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق ، وأن القرآن حق . وفيه أن محمدًا خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق فى هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرج المختار فى آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحقّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يَضُرُّهُم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة ، منها إخباره بأن الله زوى له المشارقَ والمغاربَ وأخبرَ بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال ، وإخباره بأنه أُعْطِيَ الكنزين ، وإخباره بإجابة دعوته لأمته فى الاثنتين ، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يُرْفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا وخوفه على أمته من الأئمة المضلّين وأخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة ، وأخباره ببقاء الطائفة المنصورة . وكل هذا وقع ، كما أخبر ، مع أن كلّ واحدة منها أبعد ما يكون فى العقول .

الثالثة عشرة : حصْرُ الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

باب ما جاء فى السحر

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ وقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾(1) .

(1) من الآية ١٠٢ : البقرة .

قال عمر : « الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان » .

وقـال جابـر : « الطـواغيت : كهـان ، كان ينـزل عليهم الشيطان ، فى كل حي واحد » .

وعن أبي هريـرة رضى الله عنـه : أن رسـول الله ﷺ قال : اجْتَنِبُـوا السَّبْـعَ المـوبقـات . قالـوا : يا رسولَ الله وما هُنَّ ؟ قال : الشِّـرْك بالله ، والسِّحـر ، وقتـل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكْـل الـربـا ، وأكـل مال اليتيم ، والتَّـوَلّي يَوْمَ الـزَّحْف ، وقـذف المُحْصَنَات الغافلات المؤمنات » .

وعن جنـدب مرفـوعـًا : « حدُّ السَّـاحر ضرْبُه بالسَّيْفِ » رواه الترمذي وقال الصحيح انه موقوف .

وفى صحيـح البخـارى عن بجـالة بن عبدة قال كتب عُمَرُ بن الخطاب رَضِيَ الله عنه : أنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحرٍ وسَاحِرَة ، قال : فقتلنا ثلاثَ سَوَاحِرٍ » .

(باب السحر ، وباب شيء من أنواع السحر)

وجه إدخال السحر فى أبواب التوحيد أَنَّ كثيرًا من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد السَّاحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره .

ولهذا قرنه الشارع بالشرْك ، فالسِّحْرُ يدخل فى الشرك من جهتين :

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقُومُوا بخدمَتِهِ ومطلوبه .

وصح عن حفصة رضى الله عنها « انها أَمَرَتْ بقَتْلِ جَارِيةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ » . وكذلك صح عن جندب .

قال أحمد عن ثلاثة من أصْحاب النبي ﷺ .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجِبْت والطاغوت والفرق بينهما .

الرابعة : ان الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى .

السادسة : أن السّاحر يكفر .

السابعة : أنه يُقْتَل ولا يُسْتتاب .

الثامنة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر . فكيف بعده ؟

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله فى علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك ، وذلك من شعب الشرك والكفر .

وفيـه أيضـًا من التصـرفـات المحرمة ، والأفعال القبيحة كالقتل ، والتفـريق بين المتحـابـين ، والصـرف ، والعطف ، والسعى فى تغيـير العقـول ، وهـذا من أفظع المحرمات ، وذلك من الشرك ووسائله ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده .

بـاب بيان شيء من أنـواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان ابن العـلاء ، حدثنـا قطن بن قبيصـة عن أبيـه أنـه سمـع النبيَّ ﷺ قال : « إن العِيَافة وَالطَّرْق والطِّيرة مِنَ الجبْت » .

قال عوف:العيافة:زَجْرُ الطير ، والطَّرْق الخط يُخَط بالأرض ، والجبت قال الحسن : رنة الشيطان . اسناده جيد .

ولأبي داود والنسائي وابن حيان فى صحيحه المسند منه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ اقتبس شُعْبَـةً من النجُـوم فَقَدْ اقتبَس شُعْبةً مِنَ السِّحْر ، زَادَ مَا زَادَ » رواه أبو داود ، واسناده صحيح .

وللنسائى من حديث أبي هريرة « مَنْ عَقَدَ عُقدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَرَ ، ومن سَحَرَ فقد أَشْرَكَ ، ومن تَعَلَّقَ شيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ » .

وعن ابن مسعـود أن رَسُـولَ الله ﷺ قال : « أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُم مَا الْعَضَّة ؟ هِيَ النَّمِيمَة القالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » رواه مسلم .

ولهمـا عن ابن عمـر رضى الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا » .

ومن أنواعه الواقعة فى كثير من الناس النميمة لمشاركتهم للسحر فى التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور .

فالسحر أنواع ودركات بعْضُهَا أقبح وأسفل من بعض .

فيـــه مســـائل

الأولى : أن العيافة والطرْق والطيرة من الجبت .
الثانية : تفسير العيافة والطرق والطيرة .
الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .
الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك .
الخامسة : أن النميمة من ذلك .
السادسة : أن مِنْ ذلك بعض الفصاحة .

باب ما جاء فى الكهان ونحوهم

روى مسـلم فى صحيحــه عن بعض أزواج النبي ﷺ قال : « مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقه لَمْ تُقْبَل لَهُ صَلاة أَرْبَعِينَ يَوْمًا » .

وعن أبي هريـرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَتَى كَاهِنـاً فَصَدَّقَهُ بما يقول فَقَدْ كَفرَ بِمَا أُنزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ » رواه أبو داود .

(باب ما جاء فى الكهان ونحوهم)

أى مِنْ كُلِّ مَنْ يَدَّعِى عِلْمَ الغيبِ بأى طريق من الطـرق . وذلـك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادعى مشاركة الله فى شىء من ذلـك بكهـانـة أوعرافـة أوغيرها ، أَوصَدَّق من ادَّعى ذلك فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه ، وقد كَذَّبَ اللهَ ورسولَه .

وللأربعة والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما ، عن « أبي هريرة : « مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزل على محمدٍ ﷺ » ولأبى يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا .

وعن عمران بن حصين مرفوعا « ليس منا مَنْ تَطَيَّر أو تُطُيِّر لهُ أو تَكهَّن أو تُكهن له أو سَحَرَ أو سُحِرَ لَهُ ، ومَنْ أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بمَا أُنزلَ على محمد ﷺ » رواه البزار باسناد جيد .

ورواه الطبراني في الأوساط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله « ومن أتى » إلى آخره .

قال البغوى : العرَّاف الذى يدَّعِي معرفةَ الأمور بمُقَدِّمَاتٍ يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .

وقيل : هو الكاهن ، والكاهِنُ هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل .

وقيل : الَّذى يُخْبِرُ عَمَّا فى الضمير .

وقال أبو العباس بن تيمية : العَرَّاف اسم الكاهن ،

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التى تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية ، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله فى علمه الذى اختص به .

ومن جهة التقرب إلى غير الله .

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول .

والمنجم ، والرمال ونحوهم ، ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس فى قوم يكتبون أبا جاد ، وينظرون فى النجوم ما أرَىٰ مَنْ فَعَلَ ذلك له عند الله مِنْ خَلَاقٍ .

فيـــه مســائل

الأولى : انه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .
الثانية : التصريح بأنه كفر .
الثالثة : ذكر من تُكهن له .
الرابعة : ذكر من تُطير له .
الخامسة : ذكر من سُحر له .
السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .
السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعَرَّاف .

باب ما جاء فى النُّشْرَةِ

عن جابر (أن رسـول الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرة ؟ فقال : هى مِنْ عَمَل الشيْطَان) . رواه أحمد بسند جيد وأبو داود . وقال : سُئِلَ أحمد عنها ؟ فقال ابن مسعود ــ يكره هذا كله .

(بـــاب النشـــرة)
وهو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم فى التفصيل بين الجائز منه والممنوع ، وفيه كفاية .

وفى البخارى عن قتادة — قلت لابن المسيب رجل به طِبٌّ أو يُؤْخَذُ عَن امْرَأتِهِ أَيُحَلُّ عَنْه أو يُنْشَر ؟ قال لا بأس به ؟ إنما يريدون به الإصلاح فأما ما يَنْفَع فلم يُنْهَ عَنْهُ ، انتهى .

وروى عن الحسن أنه قال : لا يَحِلُّ السِّحْرَ إلا سَاحِر .

قال ابن القيم : النَّشْرةُ حلُّ السِّحْر عن المسْحُور ، وهى نوعان :

حل بسحر مثله وهو الذى مِنْ عَمَلِ الشيطان . وعليه يُحْمَلُ قَوْلُ الحسن فَيَتَقَرَّب الناشرُ والمنتشرُ إلى الشيطان بما يحب فيبْطل عملُهُ عن المسْحُور . والثانى : النشرة بالرقْيَة والتعوّذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز .

فيـــه مســائل

الأولى : النهى عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمُرَخَّص فيه مما يزيل الإشكال .

باب ما جاء فى التطـــير

وقول الله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّما طَآئِرُهُمْ عند آلله ولكنَّ أَكْثرهُمْ لا يعْلمُون ﴾[1].

(١) من الآية ١٣١ : الأعراف .

وقوله ﴿ قَالُواْ طَآئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ الآية(١) .

عَنْ أبي هُرَيْـرَة رضِيَ الله عَنْـه أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قال : « لا عَدْوَىٰ ولا طِيَرَة وَلَا هَامَّة وَلَا صَفَرَ » أخرجاه .

زاد مسلم ـ(ولا نَوْءَ وَلَا غَوْلَ) .

ولهما عن أنس قال : قال رَسُول اللهِ ﷺ « لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَة ويُعْجِبُني الفأْلُ . قالوا : وما الفأْلُ ؟ قال : الكلمةُ الطَّيِّبَة » .

ولأبي داود بسنـد صحيـح عن عقبـة بن عامـر قال : (ذُكِرَتِ الطِّيَـرَةُ عِنْـدَ رَسُـولِ الله ﷺ فقال : أَحْسَنُهَا الفألُ ولا ترد مسْلمًا فإذا رأى أحـدُكم ما يكْـرَه فَلْيقُـل : اللّٰهُمَّ لا يأتي بالحَسَنات إلا أنت ولا يَدْفَعُ السَّيئات إلا أنتَ ، ولا حَوْلَ وَلا قوة إلا بك) .

ولـه من حديث ابن مسعـود مرفـوعًـا « الطِّيَـرَةُ شِرْكٌ ، الطيرة شِرْكٌ ، وَمَـا مِنَّـا إِلَّا . . . وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُـه بالتَّـوَكُّـل » رواه أبـوداود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود .

(بـــاب الطِّـــيَرَة)

وهو التشاؤم بالطيور ، والأسماء ، والألفاظ ، والبقاع ، وغيرها ، فنهى الشارع عن التطير وذَمَّ المتطيرين ، وكان يُحِبُّ الفألَ ويكره الطِّيرَةَ .

والفرق بينهما : أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله وليس فيـه تعليق القلب بغـير الله بل فيـه من المصلحـة النشـاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة .

(١) صدر الآية ١٩ : يس .

ولأحمد من حديث ابن عمر ـ « مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عن حاجته فَقَدْ أَشْرَكَ . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : أن يَقُولَ اللهُمَّ لا خيْر إلَّا خَيْرُكَ ، ولا طَيْرَ إلَّا طَيْرُك وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » .

وله من حديث الفضل بن العباس « إنّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أو رَدَّكَ » .

فيـــه مســائل

الأولى : التنبيه على قوله (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ) مع قوله (طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ) .

الثانية : نفى العدوى .

الثالثة : نفى الطِّيَرَة .

الرابعة : نفى الهامة .

الخامسة : نفى الصفر .

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك ، بل مستحب .

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة ثم يرى فى تلك الحال ما يسره أو يسمع كلامًا يسره مثل يا راشد أو سالم أو غانم ، فيتفاءل ويزداد طمعه فى تيسير ذلك الأمر الذى عزم عليه ، فهذا كله خير وآثاره خير ، وليس فيه من المحاذير شىء .

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شىء من ذلك من الأمور النافعة فى الدين أو فى الدنيا ، فيرى أو يسمع ما يكره أثر فى قلبه أحد أمرين ، أحدهما أعظم من الآخر .

السابعة : تفسير الفأل .

الثامنة : أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل .

التاسعة : ذكر ما يقولُ من وجده .

العاشرة : التصريح بأن الطِّيَرَةَ شركٌ .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

(أحدهما) أن يستجيبَ لِذلك الدَّاعى فيترك ما كان عازمًا على فعله أو بالعكس فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذى كان عازمًا عليه ، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه ، وتصرف ذلك المكروه فى إرادته وعزمه وعمله ، فلا شك أنه على هذا الوجه أثرَ على إيمانه وأخل بتوحيده وتوكله ، ثم بعد هذا لا تسأل عما سيحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسباباً ، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله ، وهذا من ضعف التوحيد والتوكيل ومن طرق الشرك ووسائله ، ومن الخرافات المفسدة للعقل .

الأمر الثانى : أن لا يستجيب لذلك الدَّاعى ولكنه يؤثر فى قلبه حزنًا وهمًّا وغمًّا ، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد ، وضعف لقلبه وموهن لتوكله . وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوى تطيره ، وربما تدرج به إلى الأمر الأول .

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمها ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل .

وينبغى لمن وجد شيئًا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعى الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين بالله على ذلك ، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه .

باب ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى صحيحه : قال قتادة « خَلَقَ الله هذه النجوم لثلاثٍ : زينةً للسَّماءِ ورُجُومًا للشياطين وعلاماتٍ يُهْتدى بها ، فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ وأضَاع نصيبَه ، وتكلَّف ما لا عِلْمَ لَهُ بهِ » انتهى .

وكره قتادة تَعَلُّمَ منازلَ القمرِ ، ولم يُرَخِّص ابن عيينة فيه ، ذكره حَرْبٌ عَنْهُمَا .

ورَخَّصَ فِى تَعَلُّم المنازل أحمد واسحاق .

وعن أبي موسى قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ثَلاثَـةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنة مُدْمِنُ الخمر ، وقَاطِعُ الرَّحِم ، ومُصَدِّقٌ بالسِّحر » . رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه .

(باب ما جاء فى التنجيم)

التنجيم نوعان :

نوع يسمى عِلْمَ التأثير : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله فى علم الغيب الذى انفرد به أو تصديق لمن ادَّعى ذلك ، وهذا ينافى التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة ، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله ولما فيه من فساد العقل ، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان .

النوع الثانى : عِلْمَ التسْيِير وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأس به ، بل

فيـــه مســـائل

الأولى : الحكمة فى خَلْقِ النُّجُوم .
الثانية : الرد على منْ زَعَمَ غير ذلك .
الثالثة : ذكر الخلاف فى تعلم المنازل .
الرابعة : الوعيد فيمَن صَدَّق بشىءٍ من السِّحر ، ولوعَرَف أنه باطل .

باب ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[1].
وعن أبي مالـك الأشعـري رضىَ الله عنه ــ أن رسولَ الله ﷺ قال : (أربعٌ في أمتي منْ أمْر الجاهلية ــ الفَخْرُ بالأحسَاب والطعنُ فى الأنسَابِ والاستِسْقـاءُ بالنجوم ، وقال : النَّائِحَةُ إذا لم تَتُبْ قبلَ موتهـا تُقَـام يومَ القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قطران ، ودِرْعٌ من جَرَبٍ) رواه مسلم .

كثـير منـه نافـع قد حث عليـه الشـارع إذا كان وسيلة إلى معـرفـة أوقات العبادات أو إلى الاهتداء به فى الجهات .

فيجب التفـريق بين ما نهى عنـه الشارع وحرمه . وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه ، فالأول هو المنافى للتوحيد دون الثانى .

---

(١) الآية ٨٢ : الواقعة .

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : « صلَّى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبْحِ بالحديبية على أثر سمَاء كانت من الليل فَلَمَّا انصرف أقبل على الناس ، فقال : هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : الله ورَسُولُـه أَعْلَمُ ، قال : قال أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وكافر ، فَأَمَّا مَنْ قال : مُطِرْنا بفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، فذلك مؤمن بي كَافِرٌ بالكوكب ، وأما من قال : مُطرنا بِنَوْء كذا ، وكذا ، فَذَلك كَافِرٌ بي مُؤْمِنٌ بالكوكب » .

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه ــ قال بعضهم :

(لقد مُطِرْنَا بِنَوْءِ كذا وكذا . فأنزل الله هذه الآية) .

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ) إِلَى قَوْلِهِ : (تكذبون) .

(باب الاستسقاء بالنجوم)

لما كان من التوحيد الاعترافُ لله بتفرده بالنعم ودفع النقم ، وإضافتها إليه قولاً واعترافًا واستعانةً بها على طاعته كان قول القائل : مُطرنا بنوء كذا وكذا ينافى هذا المقصود أشدَّ المنافاة لإضافة المطر إلى النوء .

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله فإنه الذى تفضل بها على عباده .

ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع التى مِنْ أمْرِ الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

الرابعة : أن من الكُفْر ما لا يُخْرج عن الملة .

الخـامسـة : قوله « أَصْبَحَ مِن عِبَادي مؤمنٌ بي وَكَافِر » بسبب نزول النعمة .

السادسة : التفطن للإيمان في هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله « لقد صَدَقَ نَوْءُ كذا وكذا » .

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله أتدرون ماذا قال ربكم ؟

العاشرة : وعيد النائحة .

باب قول الله تعالى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾(1) .

فلا يتم توحيـد العبـد حتى يعترفَ بنعمِ الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره .

وهذا الموضع من محققات التوحيد وبه يُعْرَفُ كاملُ الإيمان وناقصُه .

---

(1) صدر الآية ١٦٥ : البقرة .

وقـولـه : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ـ إلى قوله ـ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[1].

عن أنس : أن رَسُولَ الله ﷺ قال : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين) أخرجاه ؟

وَلَهُمَا عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَـان ، أَن يَكُـونَ اللهُ وَرَسُـولُه أَحَبَّ إليه مما سِوَاهُمَا وأن يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّه إِلَّا لله ، وأن يكره أن يعُودَ في الكفر بعْدَ إذ أنقذه الله منه كَما يكْرهُ أن يُقْذفَ فى النار) .

وفي رواية « لا يجدُ أحدٌ حلاوةَ الإيمانِ حَتَّى » إلى آخره .

وعـن ابـن عبـــاس قال « مَنْ أحبَّ في اللهِ ، وأبْغَضَ في الله ، وَوَالَىٰ في الله ، وعَادَىٰ في الله ، فإنمَّا تَنَاوَل ولايةَ اللهِ بذلك ، ولن يجدَ

(باب قول الله تعالى)
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾

أَصـلُ التـوحيـد وروحُه:إخلاصُ المحبةِ لله وحدَه وهيَ أَصْلُ التأله والتعبـد له ، بل هى حقيقـة العبـادة ، ولا يتمُّ التـوحيدُ حتى تكملَ محبة العبْدِ لربِّـهِ ، وتسبق محبتـه جميعَ المحاب وتغلبها ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تَبَعًا لهذه المحبة التى بها سعادة العبد وفلاحه .

(١) صدر الآية ٢٤ : التوبة .

عبدٌ طعْمَ الإيمانِ - وإن كثرت صلاته وصومُه،حتى يكونَ كذلك ، وقد صَارت عامَّة مؤاخاة النـاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنيَا ، وذلك لا يُجْدى على أهله شيئا » رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس فى قوله (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ) قال : المودة .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب[1] محبته ﷺ على النفس والأهل والمال .

الرابعة : أن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .

الخامسة : أن لِلْإيمان حلاوة قدْ يجدُها الإنسان وقد لا يجدها .

ومن تفريعها وتكميلها الحبُّ فى الله ، فيحب العبدُ ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله مِنَ الأشخاص والأعمال ويُوَالى أولياءَه ويُعَادى أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده .

أما اتخاذ أندادٍ مِنَ الخلق يُحِبُّهُم كَحُبِّ الله وَيُقَدِّمُ طاعتهم على طاعة الله ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر ، الذى لا يغفره الله وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد ، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئا ، وهذا السبب الواهى الذى تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله ، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضًا وَعَدَاوةً .

---

(١) لعل الصواب (وجوب تقديم محبته) .

السادسة : أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحدٌ طعْمَ الإيمان إلا بها .

السابعة : فَهْمُ الصَّحَابى للواقع ـ أن عَامَّة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ) .

التاسعة : أن من المشركين من يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شدِيدًا .

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذَ نِدًّا تُسَاوِى محبتُه محَبَّةَ الله فهو الشرك الأكبر .

وأعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام :

الأول : محبة الله التى هى أصل الإيمان والتوحيد .

الثانى : المحبة فى الله وهى محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم ، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها .

الثالث : محبَّة مع الله وهى محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر ، وحجر ، وبشر ، وملك ، وغيرها وهى أصل الشرك وأساسه .

وهنا قسم رابع : وهو المحبة الطبيعية التى تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه إذا كانت مباحة ، فإن أعانت على محبَّة الله وطاعته دخلت فى باب العبادات ، وإن صَدَّت عن ذلك وتُوُسِّلَ بها إلى مالا يحبه الله دخلت فى المنهيات ، وإلا بقيت من أقسام المباحات . والله أعلم .

باب قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الآية(٢) .

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ الآية(٣) .

(باب قول الله تعالى)
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ الآية

هذا البـاب عَقَـدَهُ المصنفُ رحمه الله لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده ، والنهى عن تعلقه بالمخلوقين ، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك .

ولابد فى هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمرُ ويزول الأشتباه .

اعلم أن الخوفَ والخشيـة تارةً يقـع عبادة ، وتارة يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته .

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافـه وكـان يدعـو إلى طاعةٍ باطنة وخوف سِرِّى يزجُرُ عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك

---

(١) صدر الآية ١٧٥ : آل عمران .

(٢) الآية ١٨ : التوبة .

(٣) صدر الآية ١٠ : العنكبوت .

وعن أبي سعيد رضيَ الله عنه مرفوعًا « إنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ أن تُرْضِيَ النَّاسَ بسخط اللهِ ، وأن تحْمَدَهُمْ على رِزْقِ اللهِ ، وأن تذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ الله ، إنَّ رِزْق الله لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّه كراهيةُ كَارِه » .

وعن عائشة رضى الله عنها : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ التَمَسَ رِضى اللهِ بسخط النَّاس رضِيَ الله عَنْهُ وأرْضَى عنْهُ النَّاسَ ، ومن التَمَسَ رضا النَّاسِ بسخط الله سَخِطَ اللهُ عليْه وأسْخَطَ عَلَيْهِ النَاسَ » رواه ابن حبان فى صحيحه .

الأكبر الذى لا يغفره الله ، لأنه أشرك فى هذه العبادة التى هى من أعظم واجبات القلب غيرَ الله مع الله ، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه الله .

وأيضا فمن خشىَ الله وحدَه على هذا الوجه فهو مخلصٌ موحدٌ ومن خشى غيرَه فقد جعل لِله نِدًّا فى الخشية كمن جعل لله نِدًّا فى المحبة . وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك مما هو واقع مِنْ عُبَّاد القبور .

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهرى ، فهذا النوع ليس عبادة وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافى الإيمان .

وهذا إذا كان خوفاً محققا قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم .

وإن كان هذا خوفاً وهميًّا كالخوف الذى ليس له سبب أصلا ، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه فى وصف الجبناء ، وقد تَعَوَّذ ﷺ

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير آية آل عمران .
الثانية : تفسير آية براءة .
الثالثة : تفسير آية العنكبوت .
الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .
الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك : هذه الثلاث .
السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض .
السابعة : ذكر ثواب من فعله .
الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

باب قول الله تعالى

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآية[1].
وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية[2].

من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة ، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع ، حتى أن خواص المؤمنين وأقويائهم تنقلب المخاوف في حقهم أمنا وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية ، وكمال توكلهم ، ولهذا أتبعه بهذا الباب .

---

(١) آخر الآية ٢٣ : المائدة .
(٢) صدر الآية ٢ : الأنفال .

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾(١) .

وعن ابن عباس قال : (حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) قالها إبراهيم عليه السلام حينَ أُلْقِيَ فِي النَّار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ الآية(٢) رواه البخارى والنسائى .

فيه مسائل

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الإيمان .

الثالثة : تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .

(باب قول الله تعالى)
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآية

التوكل على الله مِنْ أعظم واجبات التوحيد والإيمان ، وبحسب قوة توكل العبد على الله يَقْوَىٰ إيمانه ، ويتم توحيده ، والعبد مضطر الى التوكل على الله والاستعانة به فى كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه .

وحقيقة التوكل على الله : أن يعلم العبدُ أن الأمرَ كلَّه لله . وأنه ما شاء الله كان ، وَمَا لم يشأ لم يكن ، وأنه هو النافع الضار المعطى المانع ،

(١) من الآية ٣ : الطلاق .

(٢) الآية ١٧٣ : آل عمران .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عِظَمُ شأن هذه الكلمة ، وأنها قولُ إبراهيم عليه السلام ومحمدٌ ﷺ فى الشدائد .

باب قول الله تعالى

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾(1).

وقوله : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾(2).

وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه فى جلب مصالح دينه ودنياه ، وفى دفع المضار ويثق غاية الوثوق بربه فى حصول مطلوبه ، وهو مع هذا باذل جهده فى فعل الأسباب النافعة .

فمتى استدام العبدُ هذا العلمَ وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة ، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين ، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك ، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أمله .

(باب قول الله تعالى)
﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾

مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفا من الله ، راجيا له راغبًا راهبًا ، إن نظر إلى ذنوبه وعَدْلِ الله وشدة عقابه خَشِيَ ربه

---

(1) من الآية ٩٩ : الأعراف .
(2) الآية ٥٦ : الحجر .

وعن ابن عبــاس : « أن رَسُــولَ اللهِ ﷺ سُئِـلَ عن الكبَـائِـرِ فقال : « الشرْكُ بالله ، واليأْسُ مِنْ رَوْح اللهِ ، والأمْنُ مِنْ مَكْرِ الله » .

وعن ابن مَسْعُود قال : أكبر الكَبَائر : الإشرَاكُ بالله والأمنُ من مَكْرِ الله والقنُوطُ من رحْمَةِ الله واليأسُ من روْح الله » رواه عبد الرزاق .

وخـافـه ، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رَجَا وطمعَ ، إن وُفِّقَ لطاعة رَجَا من ربه تمامَ النعمة بقبولها وخاف من ردها بتقصيره في حقهـا . وإن ابْتُلِيَ بمَعْصِيَـةٍ رَجَا من ربه قبولَ توبته ومحوها وخشِيَ بسبب ضعف التـوبـة والالتفـات للذنب أن يعـاقبَ عليها ، وعند النعم واليسار يرجـو الله دوامهـا والزيادة منها والتوفيق لشكرها ، ويخشى بإخلاله بالشكر مِنْ سَلْبِهَا ، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعَهَا وينتظر الفرج بحلها ، ويرجو أيضًا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب ، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب ، فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء ، وهـذا هو الـواجب وهو النافع ، وبه تحصل السعادة . ويُخْشَىٰ على العبد من خُلُقَيْنِ رذيلين :

(أحدهما) أن يَسْتَوليَ عليه الخوفُ حتى يقنطَ من رحمة الله وروحه .

(الثاني) أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته فمتى بلغت به الحـال إلى هذا فقـد ضيـع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير آية الاعراف .
الثانية : تفسير آية الحجر .
الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمِنَ مكرَ الله .
الرابعة : شدة الوعيد فى القنوط .

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران .

(أحـدهما) أن يُسْرِف العبدُ على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليهـا ويصمِّمَ على الإقـامـة على المعصيـة ، ويقطع طمعه من رحمة الله لأجل أنه مقيم على الأسباب التى تمنع الرحمة فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفًا وخلقًا لازمًا . وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد . ومتى وصل إلى هذا الحد لم يُرْجَ له خيرٌ إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوى .

(الثانى) أن يقوى خوفُ العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمـه بما لله من واسـع الـرَّحمـة والمغفرة ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب وتضعف إرادته فييأس من الرحمة ، وهذا من المحاذير الضـارة النـاشئـة من ضعف علم العبـد بربه ، وما له من الحقوق ، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها .

فلو عرف هذا ربَّه ولم يخلد إلى الكسل لَعَلِمَ أنَّ أدنى سَعْيٍ يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه .

وللأمن من مكر الله أيضًا سببان مهلكان :

(أحـدهما) إعـراضُ العبد عن الدِّين وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقـوق ، وتهـاونـه بذلك فلا يزال مُعْرِضًا غَفِلاً مُقَصِّرًا عن الواجبات منهمكا فى المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى فى قلبه من

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾(1) .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فَيَعْلم أنهَا مِنْ عِند الله فيرضَى ويسلم .

وفى صحيـــح مسلم . عن أبي هريـــرة : أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قال : « اثنتان فى الناس هُما بهم كُفْر : الطعْنُ في النَّسب والنِّياحة على الميِّت » .

الإيمان شىء لأنّ الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوى والأخروى .

السبب الثـانى أن يكـون العبـد عابدًا جاهلاً مُعْجبًا بنفسه مغرورًا بعمله فلا يزال به جهله حتى يُدِلَّ بعمله ويزولَ الخوف عنه ، ويرى أن له عنـد الله المقـامـات العـاليـة فيصـير آمنًا من مكـر الله متكـلاً على نفسه الضعيفة المهينة ، ومن هُنا يُخذَلُ ويُحَالُ بينه وبين التوفيق إذ هو الذى جنى على نفسه .

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد .

(باب من الإيمان بالله الصَّبْرُ عَلَى أقدار الله)

أما الصَّبْرُ على طاعة الله ، والصبر عن معصيته ، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان بل هما أساسه وفرعه . فإن الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه ، وصبر عن محارم الله .

---

(1) من الآية 11 : التغابن .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا : « ليسَ منَّا منْ ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ ، ودَعَا بدَعْوَى الجَاهِلِيَّة » .

وعن أنس أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ بالعُقُوبَةِ في الدُّنيا ، وإذَا أرادَ بعَبْده الشرَّ أمْسَك عنْه بذنبه حتَّى يُوافِيَ به يوْمَ القيامة » .

وقال النبي ﷺ : « إنَّ عِظَمَ الجَزَاء مَعَ عِظَمِ البَلَاء ، وإنَّ الله تعالى إذَا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، ومَنْ سَخِطَ فلهُ السخْط » حسنه الترمذى .

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله .

الثالثة : الطعن فى النسب .

فإن الدين يدور على ثلاثة أصول :

تصديقُ خبر الله ورسوله، وامتثالُ أمر الله ورسوله ، واجتنابُ نهيهما .

فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخلٌ فى هذه العموم ولكن خُصَّ بالذكر لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به .

فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله ، وأن الله أتم الحكمة فى تقديرها ، وله النعمة السابغة فى تقديرها على العبد ، رضِىَ بقضاء الله وسلَّم لأمره وصَبَرَ على المكاره ، تقرُّبًا إلى الله ورجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه واغتنامًا لأفضل الأخلاق ، فأطمأن قلبه وقوى إيمانه وتوحيده .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرَبَ الخدودَ وشَقّ الجيوب ودَعَا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : علامة إرادة الله بعبده الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضا بالبلاء .

باب ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ الآية(1) .

(باب ما جاء فى الرياء . . ثم قال :)
(باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)

اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين ، وروح التوحيد ، والعبادة وهو أن يَقْصِدَ العبدُ بعمله كلِّه وَجْهَ الله ، وثوابه ، وفضله ، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس ، وحقائق الإيمان التى هى الإحسان . وبحقوق الله . وحقوق عباده . مكملا لها قاصدًا بها وجْهَ الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سمعةً ولا رياسةً، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

(1) الآية ١١٠ : الكهف .

وعن أبي هريرة مرفوعًا : قال الله تعالى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ معي فيه غَيْرِي تركْتُهُ وشرْكه . رواه مسلم .

وعن أبي سعيد مرفوعا : (أَلا أُخْبركم بِمَا هُو أَخْوفُ عليْكُم عندي من المسيح الدَّجَّال ؟ قالوا : بلى ، قال : الشرْك الخفيُّ يقوم الرجلُ فيصلِّي فيزينُ صَلاَتَهُ ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ) . رواه أحمد .

ومن أعظم ما ينافى هذا مراءآة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم ، أو العمل لأجل الدنيا ، فهذا يقدح فى الإخلاص والتوحيد .

وأعلم أن الرياء فيه تفصيل :

فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءآة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابط وهو شرك أصغر . ويُخْشَىٰ أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر .

وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءآة الناس ، ولم يقلع عن الرياء بعمله ، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل .

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده ، ولكن عرض له الرياء فى أثناء عمله ، فإن دَفَعَهُ وخلص إخلاصه لله لم يضره ، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام فى قلبه من الرياء ، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء .

والرياء آفة عظيمة ويحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثـانيـة : الأمـر العظيم فى رَدِّ العَمَـل الصَّالح إذا دَخَلَهُ شىء لغَيْرِ الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب أنه خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي ﷺ على أصْحَابه من الرياء .

السـادسـة : أنه فسر ذلك ـ بأن المرْءَ يُصَلِّى لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجُل .

الإخـلاص ومجـاهـدتهـا فى مدافعـة خواطـر الـريـاء والأغـراض الضـارة والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده .

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها .

فإن كانت إرادة العبـد كلهـا لهذا القصـد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له فى الآخرة من نصيب .

وهـذا العمـل على هذا الـوصف لا يصدر من مؤمن ، فإن المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار الآخرة .

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا ، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمنا فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص ، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص .

وأما من عمل لله وحده وأخلص فى عمله إخلاصًا تاما ولكنه يأخذ على عمله جعـلًا ومعلومًا يستعـين به على العمـل والدين ، كالجعالات التى تجعل على أعمال الخير ، وكالمجاهد الذى يترتب على جهاده غنيمة

باب : مِنَ الشّرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ الآيتين(1).

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال : (قال رسولُ الله ﷺ : تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّينَارِ ، تعس عَبْدُ الدِّرهم ، تعس عَبْدُ الخَمِيصَة ، تعس عبْـدُ الخَمِيلة إن أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِن لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تعس وانتكس ، وإذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ . طُوبَى لِعَبْد آخذٍ بعنَانِ فرسه في سَبِيلِ اللهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّة قدماهُ إن كان في الحراسة ، كان في الحِراسَة وإن كان في السَّاقَةِ كَانَ في السَّاقَة إن استأذن لم يُؤْذَنْ لهُ . وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ) .

فيــه مســائل

الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الإنسانِ المسْلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

أورزق ، وكالأوقاف التى تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها ، فهذا لا يضر أخذه فى إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا ، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معيناً له على قيام الدين .

---

(1) الأيتان ١٥، ١٦ : هود .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه أن أُعْطِيَ رَضِيَ ، وإن لم يُعْطَ سخط .

الخامسة : (قوله تعس وانتكس) .

السادسة : قوله (وإذا شِيكَ فلا انتقش) .

السابعة : الثناء على المُجَاهِدِ الموصوف بتلك الصفات .

باب من أطاع العلماءَ والأمراءَ في تحريم ما أَحَلَّ اللهُ أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا

وقال ابن عباس : يُوشِكُ أن تنزلَ عليكم حجارةٌ من السماء ، أقول قال رسولُ الله ﷺ ، وتقولون : قال أبُو بكر وعمر ؟ .

وقال أحمد بن حنبل : عَجِبْتُ لِقَوْم عَرَفُوا الإسنادَ وصحَّته يذْهَبُون الى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] ،

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءا كبيرًا لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة ، كما قد عرف تفاصيل ذلك .

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن ، ويوجب لك أن تُنزل الأمور منازلها والله أعلم .

---

(١) من الآية ٦٣ : النور .

أتدرى ما الفتنة ، الفتنة الشرك ، لعلّه إِذَا رَدَّ بعض قوله أن يقع فى قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

وعن عدى بن حاتم : « أنه سمع النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[1]. فقلت له إِنَّـا لَسْنَـا نَعْبُـدُهُمْ . قال : أَلَيْسَ يُحَـرِّمُـونَ مَآ أَحَـلَّ اللهُ فَتُحَـرِّمُـونَـهُ ، ويُحِلُّونَ ما حَرَّم الله فتُحِلُّونهُ . فقلت : بلى ، قال : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ » . رواه أحمد والترمذى وحسنه .

(باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّمه فقد اتخذهم أربابا)

(باب قول الله تعالى)

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

ووجـه ما ذكـره المصنف ظاهـرٌ ، فإنَّ الـربَّ ، والإلٰـه هو الـذى له الحكم القَـدَرى ، والحكم الشـرعى ، والحكم الجزائى ، وهو الذى يُؤَلَّهُ ويُعْبَـدُ وحـده لا شريـكَ له ويُطـاع طاعةً مطلقة فلا يُعْصَىٰ بحيث تكون الطـاعـات كلهـا تبعـا لطاعته . فإذا اتخذ العبدُ العلماءَ والأمراءَ على هذا الـوجـه ، وجَعَـل طاعتَهم هى الأصـلُ وطـاعـةَ الله ورسـوله تبعًا لها فقد اتخـذهم أربَـابـًا من دون الله يتألهم ويَحـاكم إليهم ويقـدم حكمهم على حكم الله ورسـولـه ، فهـذا هو الكفـر بعينه ، فإن الحكم كلّه لله ، كما أن العبادة كلّها لله .

---

(١) صدر الآية ٣١ : التوبة .

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العِبَادة التى أنكرها عدى .

الرابعة : تمثيلُ ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .

الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صَار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية ، وعبادة الأحبار هى العلم والفقه ، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله من لَيْسَ من الصَّالِحِينَ ، وعُبِدَ بِالْمَعْنَى الثانى من هو من الجاهلين .

باب قول الله تعالى

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حَكَماً ، وأن يَرُدَّ ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله ، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصًا لوجه الله .

وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت ، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب .

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله فى أصول الدين وفروعه ، وفى كل الحقوق كما ذكره المصنف فى الباب الآخر .

فمن تحاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربا وقد حاكم إلى الطاغوت .

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ، وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ الآيات(١).

وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾(٢).

وقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾(٣).

وقوله : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ؟ الآية(٤).

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تبعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ » قال النووي : حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودي : نتحاكمُ إلى محمدٍ ، عرف أنه لا يأخذ الرِّشْوَة ، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقَا أن يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكمَا إليه ، فنزلت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية .

وقيل : نزلت فى رَجُلَيْنِ اختصَمَا ، فقال أحدُهما : نترافع إلى النبي ﷺ . وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عُمَرَ ، فذكر له أحدُهُما القصة فقال للذي لم يرْضَ برسولِ الله ﷺ أكذلك ؟ قال : نعمْ ، فَضَرَبَهُ بالسيف فقتله » .

---

(١) آية ٦٠ وما بعدها : النساء .
(٢) آية ١١ : البقرة .
(٣) صدر الآية ٥٦ : الأعراف .
(٤) صدر الآية ٥٠ : المائدة .

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت .

الثانية : تفسير آية البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ . الآية .

الثالثة : تفسير آية الأعراف ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ .

الرابعة : تفسير ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ .

الخامسة : ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الإيمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

(باب جحد شيئا من الأسماء والصفات)

وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الآية[1] .

وفي صحيح البخاري : قال علي : « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ » ؟

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس « أنهُ رَأَىٰ رَجُلًا انتفض لمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عن النبي ﷺ في

---

(١) من الآية ٣٠ : الرعد .

الصّفات استنكارًا لذلك ، فقال : ما فَرَقَ هَٰؤُلَآءِ ؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند مُتشابهه » ؟ انتهى .

ولما سمعت قريشٌ رسول الله ﷺ يذكرُ الرحمَٰن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ .

فيــــه مســائل

الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يَفْهَمُ السامع .

الرابعة : ذكر العلة ، أنه يفضى إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يَتَعَمَّد المنكِرُ .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك ، وأنه أهلكه .

(باب جحد شيئا من الأسماء والصفات)

أصــل الإيـمان وقـاعـدتـه التى ينبنى عليهـا هو الإيـمان بالله ، وبأسمائه ، وصفاته .

وكلما قوى علمُ العبـد بذلـك وإيـمانـه به ، وتعبد لله بذلك ، قوى توحيده ، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال ليس له فى كمالـه مثيل ، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإلـه الحق ، وأن إلهيـة ما سواه باطلة ، فمن جحـد شيئًا من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه ، وذلك من شعب الكفر .

بـــاب قول الله تعالى

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الآية(1).

قال مجاهد ما معناه « هو قول الرجل : هذا مَالِى ، ورثته عن آبائى » .

وقال عون بن عبد الله لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا .

وقال ابن قتيبة ـ يقولون ـ هذا بشفَاعَة آلهتنا .

وقـال أبـو العبـاس : « بعـد حديث زيد بن خالد » الذى فيه « وأن الله تعـالى قال : أَصْبَح منْ عِبادي مُؤْمِنٌ بي وكافر » الحديث وقـد تقـدم ـ وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعَامَهُ إلى غيره ويشرك به .

وقـال بعض السلف ـ هوكقـولهم كانت الـرِّيـحُ طيبة والملاح حَاذِقًا ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثيرة .

باب قول الله تعالى
﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾

الـواجب على الخلق إضـافـة النعم إلى الله قولًا واعترافًا كما تقدم وبـذلـك يتم التـوحيـد ، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر ليس معه من الدين شيء .

ومن أقـر بقلبـه أن النعم كلهـا من الله وحـده ، وهـو بلسـانـه تارةً يضيفها إلى الله ، وتارةً يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعى غيره كما هو جارٍ على ألسنة كثير من الناس ، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه وأن

(1) صدر الآية ٨٣ : النحل .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جارٍ على أَلْسِنَةٍ كثيرة .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكارًا لِلنِّعْمَةِ .

الرابعة : اجتماع الضدين فى القلب .

بـــاب قـول الله تعالى

﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(1)

قال ابن عبـاس فى الآيـة : « الانـداد هو الشـرك ، أخفى من دبيب النمل على صَفاة سوداء فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحَيَـاتـك يافـلان وحياتى ، وَتَقول لولا كُلَيْبَة هذا لأتانا اللُّصُوص ، ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت . وقـولُ الـرَّجُلِ : لولا الله وفلان ، لا تجْعَل فيهَا فُلانًا ، هذا كله به شِرْك » رواه ابنَ أبي حاتم .

لا يضيف النعمَ إلا إلى مُوليهـا وأن يجاهـدَ نفسـه على ذلـك ولا يتحقق الإيمان إلا بإضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً .

فإن الشكر الذى هو رأس الإيمان مبنى على ثلاثة أركان :

اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره .

والتحدث بها والثناء على الله بها .

والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته ، والله أعلم .

---

(1) من الآية ٢٢ : البقرة .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْـرِ الله فَقَـدْ كَفَـرَ أَوْ أَشْـرَكَ » رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم .

وقال ابن مسعود : « لأن أَحْلِفَ بالله كَاذِبًا أحبُّ إلَيَّ من أن أَحْلِفَ بغيره صَادِقًا » .

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا تقُولُوا ما شاء الله ومَا شَاءَ فُلان ولكن قولوا : مَا شَاءَ الله ثُمَّ شآءَ فُلَانٌ » رواه أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن إبراهيم النخعي : أنه يَكره أَعُوذ بالله وَبِكَ . ويجوز أن يَقُولَ بالله ثم بك ، قال وَيَقُولُ لَوْلَا الله ثُمَّ فُلان ، ولا تقولوا لولا الله وفلان .

باب قول الله تعالى
﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

الترجمة السابقة على قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية ، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله نِدًّا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات .

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله ، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ كلولا الله وفلان وهذا بالله وبك ، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كلولا الحارس لاتانا اللصوص ، ولولا الدواء الفلاني لهلكت . ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل . . . فكل هذا ينافي التوحيد .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .

الثانيـة : أن الصَّحَابة يفسِّرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ .

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمـر — أن رسـولَ الله ﷺ قال : (لا تَحْلِفُوا بآبائكم،مَنْ حَلَفَ بآلله فلْيـصْـــدُقْ ومـنْ حُلف لهُ بالله فَلْيـَرْض ، ومن لمْ يرْض فليْسَ مِنَ الله) رواه ابن ماجه بسند حسن .

والـواجب أن تضـاف الأمـورُ ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداء ، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه ، فيقول لولا الله ، ثم كذا ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره .

فلا يتم توحيدُ العبد حتى لا يجعل لله نِدًّا في قلبه وقوله وفعله .

(باب من لم يقنع في الحلف بالله)

ويراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهـره الخير والعـدالـة ، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه لأنه

فيـــه مســائل

الأولى : النهى عن الحلف بالآباء .
الثانية : الأمر للمَحْلُوف له بالله أن يرضى .
الثالثة : وعيد من لم يرض .

باب قول (ما شاء الله وشئت)

عن قتيلة ــ (أن يهوديًّا أتَى النبيَّ ﷺ فَقَالَ إنكم تشركون تقولون ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ . وتقولون : والكَعْبَة : فأمَرَهُمُ النَّبيُّ ﷺ

ليس عندك يقين يعارض صدقه .

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلاله يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله .

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرض إلا بالحلف بالطلاق أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات فهو داخل فى الوعيد لأن ذلك سوء أدب وترك لتعظيم الله ، واستدراك على حكم الله ورسوله .

وأما مَنْ عُرِف منه الفجور والكذب حلف على ما تيقن كذبه فيه فإنه لا يدخل تكذيبه فى الوعيد للعلم بكذبه ، وأنه ليس فى قلبه من تعظيم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد لأن حالته متيقنة والله أعلم .

(باب قول ما شاء الله وشئت)

هذه الترجمة داخلة فى الترجمة السابقة ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ .

إذا أرادوا أن يَحْلِفُوا أن يَقُولُوا : وَرَبِّ الكَعْبَة وأن يَقُولُوا : (مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتَ) . رواه النسائى وصححه .

ولـه أيضـًا عن ابن عباس « أن رَجُلاً قَالَ للنبي ﷺ مَا شَآءَ الله وَشِئْتَ فقال أجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا ؟ بل مَا شَآءَ اللهُ وَحْدَهُ » .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : (رَأَيْتُ كأني أتَيْتُ عَلَى نَفَـرٍ مِنَ الْيَهُـودِ ـ قلت : إنكم لأنتمُ القَـوْم لَوْلَا أنكم تقولون عزيرٌ ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ـ ما شاء الله وشَاءَ مُحَمَّدٌ . ثم مرَرْت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القـوم لولا أنكم تقـولـون المسيح ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القـوم لولا أنكم تقـولـون : ما شاء الله وشاء مُحَمَّدٌ ، فَلَمَّا أصْبَحْتُ أخبَرْتُ بهـا مَنْ أخبـرت ، ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فأخْبَرْتُه . قال : هل أخْبَـرْتَ بهـا أحـدًا ؟ قلت : نعم . قال فحَمِـدَ الله وأثنَى عليـه ثم قال : أمـا بَعْـدُ فإنَّ طفيلا رأى رُؤْيَا أخْبَرَ بهَا مَنْ أخبَرَ منكم . وأنكم قلتم كلمةً يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها . فَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ الله وشَاءَ مُحَمَّدٌ . ولكن قُولوا ما شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ) .

فيـــه مســائل

الأولى : معرفة اليَهُود بالشرك الأصغر .

الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى .

الثالثة : قوله ﷺ : « أجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا » فكيف بمن قال : « يا أكْرَمَ الخلق مَا لِي مَنْ ألوذ به سِوَاكَ » والبيتين بعده .

الرابعة : أن هذا ليسَ مِنَ الشرك الأكبر . لقوله «يمنعني كذا وكذا» .

الخامسة : أن الرؤْيَا الصَّالحة من أقسام الوحي .

السادسة : أنها قد تكون سَبَبًا لشرع بعض الأحكام .

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ الآية(١) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (قَالَ الله تَعَالَى يُؤْذِينِي ابنُ آدم . يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأنا الدَّهْرُ أُقلِّبُ اللَّيل والنَّهار) .

وفي رواية « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ . فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

(باب من سب الدهر فقد سب الله)

وهذا واقعٌ كثيراً في الجاهلية ، وتبعهم على هذا كثير من الفسّاق والمجّان والحمْقى إذا جَرَتْ تصاريف الدَّهر على خلاف مُرادهم جعلوا يسبون الدَّهْرَ والوقت ، ورُبما لعنوه . وهذا ناشىء من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم ، فَإن الدَّهر ليس عنده من الأمر شيء ، فانه مُدَبَّر مُصَرَّف والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم ، ففي الحقيقة يقع العيبُ والسبُّ على مدبره .

---

(١) صدر الآية ٢٤ : الجاثية .

فيـــه مســـائل

الأولى : النَّهْىُ عَن سَبِّ الدَّهْرِ .

الثانية : تسْميته أذى لله .

الثالثة : التأمل فى قوله : « فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

الرابعة : أنه قد يكون سَابًّا . ولو لم يقصده بقلبه .

باب التَّسَمِّى بقاضِى القُضَاة ونحوه

فى الصَّحِيـح عن أبي هريـرة عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاك . لَا مَالِكَ إِلَّا الله » .

قال سفيان : مثل شاهان شاه .

وفى روايـة : « أَغْيَـظُ رَجُـلٍ على اللهِ يوْمَ القِيـامَةِ وأَخْبَثُهُ » .

قوله : (أخنع) يعنى : أوضع .

وكـما أنـه نقص فى الـدِّين فهـو نقص فى العقـل فيـه تزداد المصائب ويعظم وقعها ويغلق بابُ الصَّبْرِ الواجب ، وهذا مناف للتوحيد .

أمـا المـؤمن فإنـه يعلم أن التصـاريف واقعـة بقضـاء الله وقـدره وحكمته ، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله ، بل يرضى بتدبير الله ويسلِّمُ لأمره وبذلك يتم توحيده وطمأنينته .

(باب التســمى بقـاضى القضـاة ونحــوه
وباب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك)

وهـاتـان الـترجمتـان من فروع البـاب السابق . وهو أنه يجب أن لا يُجْعَلَ لله نِدٌّ فى ألنيـاتوالأقـوال والأفعال . فلا يُسَمَّى أحدٌ باسم فيه نوع

فيـــه مســائل

الأولى : النهى عن التَّسَمِّى بملك الأملاك .

الثانية : أن ما فى معناه مثله . كما قال سفيان .

الثـالثـة : التفطن للتغليـظ فى هذا ونحـوه . مع القطـع بأن القلبَ لم يقصد معناه .

الرابعة : التفطن أن هذا الإجلال لله سبحانه .

باب احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبى شريـح أنـــه كان يكنى أبـا الحكم . فقـال له النبي ﷺ : إن الله هو الحكمُ وإليه الحُكْمُ . فقال : إنَّ قومي إذا اختلفوا فى شىء أتـــوني فحكمت بينهم فَرَضِيَ كلا الفـريقين ، فقـال : ما أحْسن هذا ، فمـَا لَكَ مِنَ الْـوَلَـدِ ؟ قلتُ : شريح . ومسلم . وعبد الله ، قال : فَمَـنْ أَكْـبَـرُهُم ؟ قلت : شريـح ، قال : فأنت أبـو شريح . رواه أبو داود وغيره .

مشـــاركـة لله فى أسـمائـه ، وصفـاتـه ، كقـاضى القضـاة وملك الملوك ، ونحـوهـا . وحـاكم الحكـام . أو بأبى الحكم ونحـوه . وكـل هذا حفـظ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته . ودفع لوسائل الشرك حتى فى الألفاظ التى يُخشى أن يُتَدَرَّجَ منها إلى أن يُظَنَّ مشاركةُ أحدٍ لله فى شىء من خصائصه وحقوقه .

فيـــه مســـائل

الأولى : احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقـول الله تعـالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعبُ ﴾ الآية[1].

وعن ابن عُمَـرَ ومحمـد بن كعب وزيـد بن أسلم وقتـادة ، دخـل حديث بعضهم فى بعض : أنه قال رَجُلٌ فى غزوة تبوك (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَـا هَؤُلَاءِ أرغبُ بُطـونـًا ولا أكـذَبُ ألْسُنـاً . ولا أَجْبَنُ عِنْدَ اللقاء ـ يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ـ فقال له عوفُ ابنُ مَالِك : كذَبْتَ . ولكنَّـك مُنـافق لأخْـبرَ ن رَسُـولَ الله ﷺ فذهب عوف إلى رسـول الله ﷺ لِيُخْـبِرَه فَوَجَـدَ القرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ فَجَاءَ ذلك الرَّجُلُ إلى رسـول الله ﷺ . وقـد ارتحَلَ وَرَكِبَ ناقته . فقال : يَا رَسُولَ الله إنما كنا نَخُوضُ ونتَحَدَّثُ حَدِيثَ الركب ، نقطعُ به عَنَّا الطريق .

(باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول)

أى فإن هذا مناف للإيمان بالكلية ، ومخرج من الدين . لأن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله .

---

(١) صدر الآية ٥٠ : فصلت .

قال ابن عمر : كأني أنظرُ إليه متعلقًا بنسعة ناقةِ رسولِ الله ﷺ وإن الحجارة تنكبُ رجليه ، وهويقول : (إنّما كنّا نخوضُ ونلعبُ) فيقولُ لهُ رسولُ الله ﷺ : (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) ؟ ما يلتفتُ إليه وما يزيدُه عليه .

فيـــه مســائل

الأولى : وهى العظيمة : أن مَنْ هَزَل بهذا فإنّهُ كافر .

الثانية : أن هذا تفسير الآية فيمَنْ فعل ذلك كائنًا من كان .

الثالثة : الفرق بين النّميمة والنّصيحة لله ولرسُوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذى يحبُّه الله وبَيْنَ الغِلْظَةِ على أعْداءِ الله .

الخامسة : أنّ مِنَ الأعذار ما لا ينْبَغِى أن يُقْبَل .

باب ما جاء فى قول الله تعالى

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ الآية[1] .

ومن الإيمان تعظيم ذلك . ومن المعلوم أن الاستهزاءَ والهزلَ بشىء من هذه أشد من الكفر المجرد . لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء .

فإن الكفار نوعان : معرضون ومعارضون .

فالمُعَارِضُ المحارب لله ورسوله ، القادح بالله وبدينه ورسوله أغْلَظُ كفرًا وأعظمُ فسادًا .

والهازل بشىء منها من هذا النوع .

(١) صدر الآية ٥٠ : فصلت .

قال مجاهد : هذا بعملي ، وأنا محقوق به .

وقال ابن عباس يريد : من عندي .

وقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾(1).

قال قتادة : عَلَىٰ علمٍ مني بوجوه المكاسب .

وقال آخرون : على علم من الله أني له أهْلٌ .

وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شَرَفٍ .

وعن أبي هريرة أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إِنَّ ثلاثةً مِن بني إسرائيل : أبرَصَ وأقرَعَ وأعمَىٰ ، فأرادَ اللهُ أن يَبْتَلِيَهُم ، فبعَثَ إليهم مَلَكًا فأتى الأبرَصَ فقال : أيُّ شيءٍ أحَبُّ إليكَ ؟ قال : لونٌ

(باب ما جاء فى قول الله تعالى)
﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ ﴾

مقصودُ هذه الترجمة أنَّ كل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته ، أو أنه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحق ، فإن هذا مناف للتوحيد لأن المؤمن حقا من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويثنى على الله بها ، ويضيفها إلى فضله وإحسانه ، ويستعين بها على طاعته ولا يرى له حقا على الله ، وإنما الحق كله لله ، وأنه عبد محض من جميع الوجوه ، فبهذا يتحقق الإيمان والتوحيد ، وبضده يتحقق كفران النعم . والعجب بالنفس والإدلال الذى هو من أعظم العيوب .

(1) صدر الآية ٧٨ : القصص .

حَسَنٌ ، وَجلدٌ حَسَنٌ ، ويذهبُ عَنّي الّذي قَدْ قَذِرَني الناسُ به قال فَمَسَحَهُ ، فذهبَ عنه قَذَرُهُ ، فأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا ، قال فأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : الإبـل أو البقـر ــ شك اسحـاق ــ فأعْطِيَ ناقَةً عُشَرَاءَ ، فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فيهَا . قال : فَأَتَى الأقرعَ فَقَالَ : أيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عني الـذي قَذِرَني النَّاسُ بِهِ ، فمَسَحَهُ فذهبَ عَنْه ، وأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا ، فَقَال أيُّ المَالِ أَحَبُّ إلَيْكَ ؟ قال البقرُ أو الإبلُ ، فأُعْطِيَ بقرةً حاملًا ، قال : بَارَكَ اللهُ لَكَ فيهَا .

قال : وأَتَى الأعْمَىٰ فَقَـال : أيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال أَن يَرُدَّ اللهُ إليَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ به النَّاسَ ، فمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إليْهِ بَصَرَهُ ، قَالَ : فأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ الغَنَمُ ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَان وَوَلَّدَ هَذَا . فكـان لِهَـذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ، ولِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ ، وَلِهَذا وَادٍ مِنَ الغَنَم .

قَالَ : ثمَّ إنَّـه أتَى الأبـرَصَ في صُورَتِـهِ وهَيْئَتِهِ فَقَال : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبيلٍ قَد انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بالَّذي أعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ والجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ في سَفَرِي ، فَقَال : الحُقُوق كثيرة فَقَالَ لَهُ : كأني أعْرِفُكَ ؟ ألم تكن أبْرَصَ يقْذَرُك النَّاس ، فقيرًا فأعطاك الله عزَّ وَجَلَّ المَالَ ؟ فقال : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، فقالَ : إن كُنْتَ كَاذِبًا فصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ ، قَال : ثمَّ إِنَّهُ أَتَى الأقْرَعَ في صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذا ، وَرَدَّ عَلَيْه مِثْلَ مَا رَدَّ

عَلَيْهِ هذا ، فقَال إن كنْتَ كاذبًا فصيَّرك اللهُ إلى ما كُنْتَ . قَالَ وَأتَى الْأَعْمى فى صُورَتِهِ فقال : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبيلٍ قد انقَطَعَتْ بيَ الْحِبَالُ في سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إلا باللهِ ثُمَّ بِكَ ، أسْأَلُكَ بِالَّذي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شاةً أتبلَّغُ بهَا في سَفَرِي . فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي . فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ . فَوَ ٱللهِ لا أُجْهِدُكَ اليوم بشيءٍ أخذْتَه للهِ . فقال : أمْسِكْ مَالَكَ فإنَّمَا ابْتُلِيتُم فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ » اخرجاه .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير الآية .
الثانية : ما معنى (لَيَقُولَنَّ ـ هَٰذَا لِي) .
الثالثة : ما معنى قوله (أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي) .
الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

باب قول الله تعالى

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ الآية[1].

قال ابن حزم : اتفقُوا عَلَىٰ تحريم كل اسم معبد لغير الله ، كعَبْدِ عُمَرَ ، وعَبْدِ الكَعْبَة ، وما أشبَه ذلك ، حاشَا عَبْد المطلب .

وعن ابن عبـاس فى الآيـة ، قال : « لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ فأتـاهُمَـا إبليسُ فقـال : إني صَاحِبُكمَـا الَّـذي أخرَجَكُمَا مِنَ الجَنَّة

(1) صدر الآية ١٩٠ : الأعراف .

لَتُطِيعَانِي أو لأجْعَلنَّ لَهُ قرنَيْ أيل فَيَخْرُج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن ، يُخَوِّفهُمَا ، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارث ، فأبَيَا أن يطيعَاه فخرج مَيِّتًا ، ثم حَمَلَتْ فأتاهُمَا فقال مثل قوله فأبيَا أن يُطيعَاه فخرَج مَيِّتاً . ثم حَمَلت فأتـاهُمَـا فذكَرَ لهُمَا ، فأدركَهُمَا حُبُّ الولد ، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله : (جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا) . رواه ابن أبي حاتم .

ولـه بسَنـد صحيح عن قتادة قال : شرَكَاء فى طَاعَتِهِ ولم يكن في عِبَادته .

وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله : ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾[1] قال : أشفقا أن لا يكون إنسَانًا .

وذُكِرَ مَعْنَاهُ عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيـــه مســـائل

الأولى : تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ الله .

(باب قول الله تعالى)
﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾

مقصود الترجمة أن من أنعم الله عليهم بالأولاد ، وكمّل الله النعمة بهم بأن جعلهم صالحين فى أبدانهم .

وتمـام ذلـك أن يَصْلُحُوا فى دينهم ، فعليهم أن يشكـروا الله على إنعـامه وأن لا يُعَبِّدُوا أولادهم لغـير الله ، أو يضيفوا النعم لغير الله ، فإن ذلك كفران للنعم مناف للتوحيد .

(١) من الآية ١٨٩ : الأعراف .

الثانية : تفسير الآية .
الثالثة : أن هذا الشرك فى مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها .
الرابعة : أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ البِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ .
الخامسة : ذكر السلف الفرقَ بين الشرك فى الطاعة والشرك فى العبادة .

بـــاب قــول الله تعالى

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ الآية[1].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس (يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ) يشركون .

وعنه : سموا اللات من الإله . والعزى من العزيز .

وعن الأعمش : يُدْخِلُونَ فيها ما لَيسَ مِنْها .

(باب قول الله تعالى)

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾

أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه . أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى . ومعرفة ما احتوت عليه من المعانى الجليلة . والمعارف الجميلة . والتَّعبُّد لله بها ودعاؤه بها .

---

(1) الآية ١٨٠ : الأعراف .

فيـــه مســـائل

الأولى : إثبات الأسماء .
الثانية : كونها حسنى .
الثالثة : الأمر بدُعائه بها .
الرابعة : تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِن الجاهلين الملحدين .
الخامسة : تفسير الإلحاد بها .

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه . فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى . فمَنْ دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزَّاق . ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البَرِّ الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك .

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاءَ العبادة . وذلك باستحضار معانى الأسماء الحسنى وتحصيلِهَا فى القلوب حتى تتأثرَ القلوبُ بآثارها ومقتضيَاتها . وتمتلىء بأجل المعارف .

فمَثَلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيمًا لله وإجلالًا له .

وأسماء الجمال والبر والاحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبةً لله وشوقًا له وحمدًا له وشكرًا .

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا وانكسارًا بين يديه .

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلبَ مراقبةً لله فى الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديئة والإرادات الفاسدة .

باب لا يقال السلام على الله

في الصَّحيح عن ابن مسعود رضيَ الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ . قلنا : السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ . السَّلَامُ عَلَى فلان وفلان . فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « لا تَقُولُوا : السَّلامُ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ » .

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقاراً واضطرارًا إليه ، والتفاتًا إليه كل وقت ، في كل حال .

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته ، وتَعَبُّده بها لله لا يُحَصِّلُ العبدُ في الدنيا أَجَلَّ ولا أفضلَ ولا أكملَ منها ، وهي أفضلُ العطايا من الله لعبده ، وهي روحُ التوحيد وروحه .

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص ، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكُمَّلِ من الموحدين .

وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى .

وأما الإلحاد في أسماء الله وصفاته فإنه ينافي هذا المقصد العظيم أعظم منافاة .

والإلحاد أنواع .

إما أن يَنْفِيَ الملحدُ معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم .

وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم .

وإما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون حيث سَمُّوا اللات من الإله ، والعُزَّى من العزيز ، ومناة من المنان ، فاشتقوا لها من أسماء

فيــــه مســـائل

الأولى : تفسير السَّلام .
الثانية : أنه تحِيّة .
الثالثة : أنها لا تَصْلُح لله .
الرابعة : العِلّة فى ذلك .
الخامسة : تعليمهم التحية التى لا تصلح لله .

باب قول : اللهم اغفرْ لي إن شئت

فى الصحيح عن أبي هريرة أنَّ رَسُول الله ﷺ قال : « لا يقُلْ

الله الحسنى ، فشبَّهُــوهَــا بالله ثم جعلوا لها من حقــوق العبــادة ما هو من حقوق الله الخاصة .

فحقيقـة الإلحـاد فى أسـماء الله هو الميـل بها عن مقصـودهـا لفظًا أو معنًى ، تصريحًا ، أو تأويلًا ، أو تحريفًا . وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان .

(باب لا يقال السلام على الله)

وقـد بيَّن ﷺ هذا المعنى بقـولـه « فإن الله هُوَ السـلام » فهـو تعالى السـلام السـالم من كل عيب ونقص ، وعن مماثلة أحد من خلقه له ، وهو المسلِّم لعبَاده من الآفات والبليات ، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغـوا نفعـه فينفعـوه ، بل هم الفقـراء إليـه ، المحتـاجـون إليه فى جميع أحوالهم ، وهو الغنى الحميد .

أَحَـدُكُـم ـ اللهم اغفِـرْ لي إن شِئْتَ ـ اللهم ارْحمْنِي إن شئْتَ . لِيعْزم المَسْألة . فإنَّ الله لا مُكْرِهَ لَهُ » .

ولمسلم « وليُعَظِّم الرَّغْبَةَ فَإنَّ الله لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ » .

فيـــه مســـائل

الأولى : النَّهْيُ عَنِ الاستثناء فى الدعاء .

الثانية : بيان العلة فى ذلك .

الثالثة : قوله « لِيَعْزِم المسْأَلَةَ » .

الرابعة : اعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

(باب قول : اللهم أغفر لي إن شئت)

الأمـور كلهـا وإن كانت بمشيئـة الله وإرادتـه ، فالمطـالب الـدينيـة كسـؤال الـرحمـة والمغفـرة ، والمطالب الدنيوية المعينة على الدِّين كسؤال العـافيـة والـرزق وتوابع ذلك ، قد أُمِرَ العبد أن يسألها من ربه طالبًا مُلِحًّا جازما ، وهذا الطلب عينُ العُبُودية ومخها .

ولا يتم ذلـك إلا بالطلب الجـازم الـذى ليس فيـه تعليق بالمشيئة ، لأنه مأمورٌ به ، وهو خير محض لا ضرر فيه ، والله تعالى لا يتعاظمه شيء .

وبهـذا يظهـر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التى لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها ، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد . فالعبد يسأل ربَّه ويعلقـه على اختيـارِ رَبِّهِ له أَصْلَحَ الأمـرين ، كالدعاء المأثور

بـاب لا يقـل : عبدي وأمتي

في الصَّحِيـح عن أبي هريـرة ـ أن رسُولَ الله ﷺ قال : « لا يَقُـلْ أَحَـدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّـكَ . وَضِّيءْ رَبَّـكَ . وَلِيَقُـل : سَيِّـدِي وَمَوْلَايَ . وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي وَأَمِتِي . وَلِيَقُل : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامي » .

فيــــه مســــائل

الأولى : النهى عن قول عبدي وأمتي .

الثانية : لا يقول العبدُ لسيده . . ربي ، ولا يُقالُ له : أطعم ربّك .

« اللهم أحيني إذا كانت الحيـاة خيرًا لي ، وتـوفني إذا علمت الـوفـاة خيرًا لي » وكدعاء الاستخارة .

فافهم هذا الفـرق اللطيف البـديـع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعهـا وعـدم ضررها ، وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها ، وبين طلب الأمــور التي لا يدرى العبـد عن عواقبهـا . ولا رجحــان نفعهـا على ضررهـا . فالـداعي يعلقهـا على اختيار ربه الذى أحاط بكل شيء عِلْمًا وقدرة ورحمة ولطفًا .

(باب لا يقل عبدى وأمتى)

وهذا على وجه الاستحباب أن يَعْدِل العبدُ عن قولِ عَبْدِي وأمتى إلى فتـاى وفتـاتى . تَحَفُّظًا عن اللفظ الذى فيه إيهام ومحذور ولو على وجه بعيـد . وليس حرامًا ، وإنـما الأدبُ كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة التى لا توهم محذورًا بوجـه . فإن الأدبَ فى الألفـاظ دليـل على كمال الإخـلاص خصوصًا هذه الألفاظ التى هى أمس بهذا المقام .

الثالثة : تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي

الرابعة : تعليم الثاني قول : سيدي ومولاي .

الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ .

بـاب لا يرد من سأل الله

عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : من سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ ، ومَن استَعَاذَ باللهِ فَأَعِيذُوهُ ، ومَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوه ، ومَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإن لم تَجِدُوا ما تكَافِئُونَهُ فادْعُوا لهُ حَتَّى تَرَوْا أنكُم كَافأْتُمُوهُ . رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح .

(باب لا يرد من سأل الله)
(باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)

الباب الأول خطاب للمَسْئُول . وأنه إذا أدلى على الإنسان أحدٌ بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل . وهو السؤال بالله . أن يجيبه احترامًا وتعظيمًا لحق الله . وأداءًا لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم .

والباب الثانى خطاب للسائل . وأن عليه أن يحترمَ أسماء الله وصفاته . وأن لا يسألَ شيئًا من المطالب الدنيوية بوجه الله . بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهى الجنة بما فيها من النعيم المقيم . ورضا الرب والنظر إلى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه . فهذا المطلب الأسنى هو الذى يُسْأَلُ بوجه الله .

فيـــه مســـائل

الأولى : إعاذة من استعاذ بالله .

الثانية : إعطاء من سأل بالله .

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصَّنيعَة .

الخامسة : أن الدُّعَاء مُكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه .

باب لا يُسْأَلُ بوجه الله إلا الجنة

عن جابـر قال : قال رسـولُ الله ﷺ : « لَا يُسْأَلُ بِوَجْه اللهِ إِلَّا ٱلْجَنَّة » رواه أبو داود .

فيـــه مســـائل

الأولى : النهْيُ عن أن يُسْأَلَ بوَجْه الله إلا غاية المطالب .

الثانية : إثبات صفة الوجه .

وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه فإنه لا يسأل بوجهه .

(باب ما جاء فى اللو)

اعلم أن استعمالَ العبدِ للفظة « لـو » تقع على قسمين : مذموم ومحمود .

بـاب ما جـاء فى اللَو

وقول الله تعالى ﴿ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ﴾[1]. وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ الآية[2].

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُـك ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تعْجَـزَنَّ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لوْ أَنِّيَ فَعَلْتُ كذا لكان كذا وكذا ، وَلكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ : فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » .

أمـا المـذمـوم فكأن يقع منه أوعليه أمر لايحبه فيقول : لوأنى فعلت كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأن فيه محذورين :

(أحدهما) أنها تفتح عليه بابَ الندم والسخط والحزن الذى ينبغى له إغلاقه وليس فيها نفع .

(الثـانى) أن فى ذلـك سوء أدب على الله وعلى قَدَره فإن الأمـور كلهـا والحـوادث دقيقهـا وجليلهـا بقضـاء الله وقَـدَره ، وما وقع من الأمور فلابد من وقوعه . ولا يمكن رَدُّهُ. فكأن فى قوله : لوكان كذا أولو فعلت كذا كان كذا . نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره .

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما .

وأما المحمود من ذلك فأن يقولها العبد تمنياً للخير .

---

(١) من الآية ١٥٤ : آل عمران .

(٢) صدر الآية ١٦٨ : آل عمران .

فيـــه مســائل

الأولى : تفسير الآيتين فى آل عمران .
الثانية : النَّهْىُ الصَّرِيحُ عن قول « لَـوْ » إذا أصَابَكَ شَيْءٌ .
الثالثة : تَعْلِيلُ المسألة بأن ذلك يَفتحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ .
الرابعة : الإرشاد إلى الكلام الحَسَن .
الخامسة : الأمرُ بالحِرْص عَلَى ما يَنفع مَعَ الاسْتِعَانة بالله .
السادسة : النهْىُ عَن ضِدِّ ذَلِكَ . وَهُوَ العَجْزُ .

كقوله ﷺ : « لَوْ اسْتَقْبلْتُ مِنْ أمْري ما اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَأَهْلَلْتُ بالعُمْرة » .

وقوله فى الرجل المتمنى للخير « لوْ أنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلان لَعَمِلْتُ فيه مِثْلَ عَمَلِ فُلان » .

و (لوْ صَبَرَ أخي مُوسى لقصَّ الله علينا مِنْ نَبَأهما) أى فى قصته مع الخضر .

وكما أن (لـو) إذا قالها متمنِّياً لِلْخَيْرِ فهو محمود . فإذا قالها متمنيا للشر فهو مذموم .

فاستعمال (لـو) تكون بحسب الحال الحامل عليها .

إن حَمَلَ عليها الضجرُ والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمنى الشر كان مذموما .

وإن حمل عليها الرغبة فى الخير والإرشاد والتعليم كان محمودًا ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين .

بـاب النهى عن سَبِّ الرِّيح

عنْ أُبىٍّ بن كَعْبٍ رَضِىَ الله عَنْـهُ : أن رَسُـول الله ﷺ قال : لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وخَيْرِ مَا فِيهَا . وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ . وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِه الرِّيح وَشرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ » صححه الترمذى .

فيـــه مســائل

الأولى : النهى عن سَبِّ الريح .
الثانية : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رَأَى الإنسانُ ما يكره .
الثالثة : الإرشاد إلى أنها مَأْمُورَة .
الرابعة : أنها قد تُؤْمَرُ بخيرٍ وقد تؤمرُ بشرٍّ .

(باب النهى عن سب الريح)

وهذا نظيرُ ما سبق فى سب الدهر ، إلّا أن ذلك الباب عام فى سب جميع حوادث الدهر . وهذا خاص بالريح . ومع تحريمه فإنه حمق وضعف فى العقل والرأى . فإن الريح مُصَرَّفة مُدَبرة بتدبير الله وتسخيره فالسَّابُّ لها يقـع سَبُّه على مَنْ صَرَّفَهَـا . ولـولا أن المتكلم بسب الـريح لا يخطر هذا المعنى فى قلبه غالبا لكان الأمر أفظع من ذلك ، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم .

بـاب قـول الله تعـالى

﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ . يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ؟ قُلْ : إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ الآية(1).

وقوله : ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية(2).

قال ابن القيم فى الآية الأولى :

فُسّرَ هذا بانه سُبْحَانه لا ينصرُ رَسُولَه . وَأنّ أمْرَهُ سَيَضْمَحِل .

وفُسّرَ بظنّهم أن مَا أصَابهم لم يكن بقَدَرِ اللهِ وحكْمَتِهِ.

فَفُسّرَ بإنكار الحكمَةِ ، وإنكار القَدَرِ . وإنكار أن يَتِمّ أمْرُ رَسُولِهِ ﷺ ، وأن يُظهره على الدّين كله .

وهذا هُوَ ظَنُّ السّوء . الذى ظَنَّه المنافقُون والمشركُون فى سورة الفتح .

(باب قول الله تعالى)
﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

وَذلـك أنه لا يَتِم لِلْعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد في جميع ماأخبر الله به من أسمائه ، وصفاته ، وكماله . وتصديقه بكل ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله . وتصديقه بكل ما أخبر به ، وأنه يفعله ، وما وعد

---

(1) من الآية ١٥٤ : آل عمران .

(2) من الآية :٦ سورة الفتح .

وإنما كان هذا ظن السّوء لأنه ظَنٌّ غَيْرِ ما يليقُ بِهِ سُبْحَانه . وما يليقُ بحكمته وحَمْدِه وَوَعْدِه الصَّادق .

فَمَنْ ظن أنـه يُدِيـلُ البـاطلَ على الحق إدالَةً مُسْتقرةً يَضْمَحِلُّ معها الحقُّ .

أو أَنْكَرَ أن يكونَ ما جَرَى بقضَائِهِ وقدَرِه .

أو أنكـر أن يكـونَ قَدَرُه لِحِكْمَـةٍ بالغةٍ يَسْتحقُّ عَلَيْهَا الحمدَ بل زَعَمَ أن ذلك لِمشيئةٍ مُجَرَّدَةٍ فذلك ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا .

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ .

وأكثرُ النَّـاسِ يَظنونَ بالله ظَنَّ السوء فيما يختصُّ بِهِمْ وفيما يفعله بغَـيْرِهِمْ ولا يَسْلَمُ من ذلـك إلا مَنْ عَرَفَ الله ، وأسْمَاءه ، وصِفاته ، وموجب حكمته وحمده .

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لنفسه بهذَا ، وليتُبْ إلى الله ويستغفره مِنْ ظَنِّهِ بربه ظَنَّ السوء .

ولو فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عنده تَعَنُّتاً على الْقَدَرِ وملامة له . وأنَّـهُ كَانَ ينبغي أن يكـونَ كذا وكـذا ، فَمُسْتَقِـلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ ، وفتش نَفْسَكَ هلْ أنتَ سَالِمٌ ؟

فَإِن تَنْـجُ مِنْهَـا تَنْـجُ مِن ذِي عَظِـيـمَـةٍ
وَإِلا فَـإِنِّي لَا إِخَـالُـكَ نَاجِـيـَـا

به من نصر الـدين . وإحقـاق الحق ، وإبطـال الباطل ، فاعتقاد هذا من الإيمان وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان .

وكـل ظن ينـافى ذلـك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد لأنها سوء ظن بالله ، ونفي لكماله وتكذيب لخبره ، وشك فى وعده ، والله أعلم .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحْصَرُ .

الرابعة : أنه لا يَسْلمُ مِنْ ذَلك إلا مَنْ عرف الأسْمَاءَ والصِّفات وَعَرَفَ نَفْسَهُ .

باب ما جاء فى منكرى القدر

وقال ابنُ عمر : والَّذى نَفْسُ ابنِ عُمَرَ بيده ، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، ثُمَّ أَنفَقَهُ فِى سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَـدَرِ ، ثم اسْتَـدَلَّ بِقَـوْلِ النبيِّ ﷺ : الإيمَـانُ أن تُؤْمِنَ بِاللهِ

(باب ما جاء فى منكرى القدر)

قد ثبت بالكتـاب والسنـة وإجمـاع الأمـة : أن الإيـمان بالقدر أحد أركـان الإيـمان ، وأنـه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة .

فعلينـا أن نؤمن بجميـع مراتب القـدَر : فنؤمن أن الله بكل شىء عليم ، وأنه كتب فى اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره .

ومن تمام الإيمان بالقدر : العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم .

وَمَلائكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، وتؤمِنَ بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . رَوَاهُ مُسْلِم .

وعَنْ عُبَادة بْن الصَّامِت أنّه قَالَ لابنه : يَا بُنَيَّ إنَّكَ لن تَجِدَ طَعْمَ الإيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أن مَا أصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أخْطَأكَ لمْ يَكن لِيُصِيبَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : إنَّ أوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَقَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أكْتُبُ ؟ قَالَ : اكتب مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ .

يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنّي » .

وفى رواية لأحْمَدَ : « إنَّ أوّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى الْقَلَمَ ، فَقَالَ له : اكْتُبْ فَجَرَى في تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إلىٰ يَوْم القِيَامَةِ » .

وفى رِوَايَةٍ لابْن وَهْب — قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (فَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أحْرَقَهُ اللهُ بالنَّارِ) .

وفى المُسْنَدِ وَالسُّنَنِ عَن ابْن الدّيلمى . قال : (أتَيْتُ أبَيَّ ابنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ : فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ ، لَعَلَّ الله يُذْهِبُه مِنْ قَلْبِي فَقَالَ : لَوْ أنفقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أنَّ مَا أصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ وَمَا أخْطَأكَ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أهْلِ النَّارِ ، قال : فأتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ ابْنَ ثَابِتٍ ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . حديث صحيح رواه الحاكم فى صحيحه .

فيـــه مســـائل

الأولى : بيان فرض الإيمان بالقدر .
الثانية : بيان كيفية الإيمان به .
الثالثة : إحباط عَمَلِ من لم يُؤمن به .
الرابعة : الإخبار بأن أَحَدًا لا يجد طعْمَ الإيمان حتى يؤمن به .
الخامسة : ذِكْرُ أولِ مَا خَلَقَ اللهُ .
السادسة : أنه جَرَى بالمقادِيرِ فى تِلْكَ السَّاعَةِ إلَى قِيام الساعة .
السابعة : بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لم يُؤمن به .
الثامنة : عَادَةُ السَّلَفِ فى إِزَالةِ الشبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاء .
التاسعة : إن العلماء أجابُوه بما يُزيل شبهته ، وذلك أنهم نَسَبُوا الكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقط .

بـاب ما جـاء فى المصورين

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : قال الله تعـالى : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُـوا ذَرَّةً . أوْلِيَخْلُقُوا حَبَّةً أوْلِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً » . أخرجاه .

وَلهُمَـا عَنْ عَائِشَـةَ رَضِىَ الله عَنْهَـا ــ أن رَسُولَ الله ﷺ قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ » .

ولهُمَا عن ابن عَبَّاس سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فى النَّار يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعذَّبُ بها في جَهَنَّمَ » .

ولهما عنه مرفوعا — (مَنْ صَوَّر صُورَةً في الدُّنْيا كُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بنافخ) .

ولمُسْلِم عن أبي الهياج : قال : « قال لي عَلِيّ : ألا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ ما بَعَثَني عَلَيْه رَسُولُ الله ﷺ ؟ أن لَا تَدَعَ صُورَةً إلا طَمَسْتَهَا ، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ .

فيـــه مســـائل

الأولى : التغليظ الشديدُ فى المصَوِّرِينَ .

الثـانيـة : التنبيه على العلّة وهو ترك الأدب مع الله ، لقوله : « ومن أظلمُ ممن ذهَبَ يخلق كخلقي » .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجْزهم ، لقوله : « فليخلُقوا ذَرَّةً أو شعيرة .

الرابعة : التصْريح بأنهم أشدُّ الناس عذابًا .

(باب ما جاء فى المصورين)

وهــذا من فروع البــاب الســابق أنـه لَا يَحِلُّ أن يُجْعَـلَ لِلهِ نِدًّا فى النيات ، والأقوال ، والأفعال . والند المشابه ولو بوجه بعيد .

فاتخـاذ الصـور الحيـوانيـة تشبـه بخلق الله ، وكـذب على الخلقـة الإلهية وتمويه وتزوير ، فلذلك زجر الشارع عنه .

الخامسة : أن الله يخلق بعدَدَ كل صورة نفسًا يعذب بها المصوِّرَ في جهنم .

السادسة : أنه يُكلفُ أن ينفخَ فيها الروحَ .

السابعة : الأمر بطمْسِهَا إذا وجدت .

بـاب ما جـاء فى كثرة الحلف

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾[1] .

عن أبي هُرَيْرَة رضىَ الله عنه : قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : « الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » أخرجاه .

وعن سَلْمَان : أن رَسُولَ الله ﷺ قال : « ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُم الله ولا يُزكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ : أُشَيْمِـطٌ زَانٍ ، وَعَـائِـلٌ مُسْتَكْبِـرٌ ، وَرَجُـلٌ جَعَـلَ اللهُ بِضَاعتهُ لا يَشْتَرِى إلاَّ بيَمِينِهِ ، وَلا يَبِيعُ إلاَّ بِيَمِينِهِ » رواه الطبراني بسند صحيح .

(باب ما جاء فى كثرة الحلف)

أصـل اليمـين إنـما شُرِعَتْ تأكيـدًا للأمـر المحلوف عليه ، وتعظيمًا للخالق ، ولهذا وجب أن لا يُحْلَفَ إلا بالله ، وكان الحلف بغيره من الشرك .

ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقا .

ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمـه عن كثرة الحلف.فالكـذب وكثرة الحلف تنافى التعظيم الذى هو روح التوحيد .

---

(١) من الآية ٨٩ : المائدة .

وفي الصَّحِيحِ عن عِمْرَان بنِ حصين رضيَ الله عنه قال : قال : رَسُولُ الله ﷺ : « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثمّ الَّذِينَ يلُونهُمْ (قال عمْران فَلَا أدْرِي أذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْن أو ثَلاثاً) ثمَّ إن بَعْدكُم قَوْمٌ يَشْهَدُون وَلَا يُسْتشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، ويَظْهَرُ فيهمُ السِّمَنُ » .

وفيه عَن ابْنِ مَسْعُود أنَّ النبي ﷺ قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » .

وقال إبراهيم : كانُوا يَضربُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ والْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ .

فيـــه مســـائل

الأولى : الوصيَّة بحفظ الأيمان .

الثانية : الإخبَارُ بأنّ الحلفَ مَنفَقَة لِلسِّلْعَةِ ، ممحَقَةٌ لِلْبَرَكة .

الثالثة : الوعيد الشديدُ فيمَن لا يبيعُ إلا بيَمِينِهِ وَلَا يشترى إلا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنبَ يعْظمُ مَعَ قِلَّة الدَّاعِى .

الخامسة : ذم الذينَ يَحْلِفُون ولا يُسْتَحْلَفُون .

السادسة : ثناؤه ﷺ على القرُون الثلاثة أو الأربَعة . وذكر ما يَحْدُثُ بعْدَهُمْ .

السابعة : ذم الذين يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ .

الثامنة : كَوْن السّلف يضْربُون الصِّغار عَلى الشهَادة والعهْد .

باب ما جاء فى ذِمّة الله وذِمّة نَبِيِّه

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ الآية[1] .

عن بريدة قال : « كان رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلى جَيْشٍ أو سَرية أوصَاه بِتَقْوَى اللهِ . ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خيرًا .

فقال : اُغْزُوا بِاسْمِ ٱللهِ ، فِي سَبِيلِ الله . قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله ، اغْزُوا ، وَلَا تَغُلُّوا ، وَلا تَغْدِرُوا ، ولا تُمَثِّلُوا ، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا . وإذا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ — أَوْ خِلَالٍ — فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ . ثُمَّ ادعُهُمْ

(باب ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه)

المقصود من هذه الترجمة البعدُ والحذرُ مِنَ التعرض للأحوال التى يُخشَى منها نقضُ العهود والاخلال بها بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله . فإنه متى وقع النقضُ فى هذه الحال كان انتهاكًا من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه ، وتركًا لتعظيم الله ، وارتكابًا لأكبر المفسَدَتَيْن كما نبَّه عليه ﷺ .

وفى ذلك أيضًا تهوينٌ للدين والإسلام وتزهيدٌ للكفار به ، فإن الوفاء بالعهود خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه .

---

(١) صدر الآية ٩١ : النحل .

إِلى الإِسْلام فَإن أجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ . ثُمَّ ادْعُهُم إِلَى التَّحَوُّلِ من دَارِهِمْ إِلى دَار المُهَاجِرِينَ وَأخْبِرْهُمْ أنهم إن فَعَلُوا ذَلكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِين وَعَلَيْهم مَا عَلى المُهَاجِرِينَ . فإِنْ أَبَوْا أن يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأخْبِرْهُمْ أنهُم يَكونُونَ كَأعْرَاب المُسْلِمِينَ يَجْرِى عَلَيْهم حُكْمُ الله تَعَالى . وَلا يَكُونُ لَهُمْ فى الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ ، إِلّا أن يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ . فإن هُمْ أَبَوْا فَاسْألْهُم الْجِزْيَةَ . فإن هُمْ أجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ . وَكُفَّ عَنْهُمْ . فإن هُم أَبَوْا فَاسْتَعِنْ باللهِ وَقَاتِلْهُمْ .

وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْن فَأرَادُوك أن تجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ نَبِيِّه فلا تجْعَلْ لهُم ذمَّةَ الله وذمَّة نبيه . ولكن اجْعل لهُم ذِمَّتَكَ وذمّة أصْحَابِكَ ، فَإنكُمْ أنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذمَّة أصْحَابِكُم أَهْوَنُ مِنْ أنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نَبِيِّه ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأرَادُوك أنْ تُنزِلَهُم عَلى حُكْمِ اللهِ . فلا تُنزلهم عَلى حُكْمِ اللهِ وَلكنْ أَنزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فإنَّك لَا تَدْرِي أتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا » رواه مسلم .

فيـــه مســائل

الأولى : الفرق بَيْنَ ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسْلِمِين .
الثانية : الإرشادُ إلى أقل الأمرين خطرًا .
الثالثة : قوله : « اغزوا بسم الله فى سبيل الله » .
الرابعة : قوله : « قاتلوا مَنْ كَفَرَ بالله » .
الخامسة : قوله : « اسْتَعِنْ بالله وقاتلهم » .

السادسة : الفرق بين حُكْمِ الله وحكم العُلَماءِ .

السابعة : فى كون الصَّحَابى يحكم عِنْدَ الحَاجَة بحكم لا يَدْرِى أَيوافق حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا ؟

باب ما جاء فى الأقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « قَالَ رَجُلٌ : وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ ، فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة : « إن القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:تكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ » .

(باب الإقسام على الله)
(وباب لا يستشفع بالله على خلقه)

وهذان الأمران من سوء الأدب فى حق الله ، وهو مناف للتوحيد .

أمـا الإقسـام على الله فهو فى الغـالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله ، وسوء الأدب معه ، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله .

وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأناً من أن يُتَوَسَّلَ به إلى خلقه ، لأن رتبةَ المتوَسَّلِ به غالبًا دون رتبةِ المتَوَسَّلِ إليه ، وذلك من سوء الأدب مع الله ، فيتعين تركه ، فإن الشفعاء لا يشفعون

فيـــه مســـائل

الأولى : التحذيرُ مِن التَّألّى عَلَى الله ؟
الثانية : كون النار أقرب إلى أحَدِنَا من شِرَاك نَعْلِهِ .
الثالثة : أَنَّ الجَنَّةَ مثل ذلك .
الرابعة : فيه شاهدٌ لقوله : « إن الرجُلَ ليتكلم بالكَلِمَةِ » الى آخره .
الخامسة : أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ .

باب لا يُسْتَشْفَعُ بالله على خلقه

عن جُبَيْـر بن مطعم رضِىَ الله عَنْـه قال : (جَاءَ أَعْـرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَارَسُولَ الله ، نَهِكَتْ الأَنفُسُ وَجَاعَ العِيَالُ . وَهَلَكَتْ الأَمْـوالُ . فَاسْتَسْقِ لَنَـا رَبَّـكَ ، فَإِنَّـا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللهِ ـ فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ : سُبْحَـانَ آلله ! سُبْحَـان الله ! فَمَـا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِـكَ فِى وُجُـوه أَصْحَابه . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَيْحَكَ : أَتَـدْرِى مَا آللهُ ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِـكَ . إِنَّـهُ لَا يُسْتَشْفَـعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ) وذكر الحديث رواه أبو داود .

عنده إلا بإذنه ، وكلهم يخافونه فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع ، وهو الكبير العظيم الذى خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات بأسرها .

فيـــه مســـائل

الأولى : الإنكارُ عَلَى مَنْ قال : « نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ » .
الثانية : تغيره تغيرًا عُرِفَ فِي وُجُوه أَصْحَابه مِنْ هَذِهِ الكلمة .
الثالثة : أنه لم يُنكِرْ عَلَيْهِ قوله : « نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ » .
الرابعة : التنبيه على تفسير « سُبْحَانَ الله » .
الخامسة : أن المُسْلِمِينَ يَسْأَلُون الاسْتِسْقَاءَ .

باب ما جاء في حماية النبي (ﷺ) حمى التوحيد ، وسده طرق الشرك

عَن عَبْدِ الله بن الشخير رَضِيَ الله عَنْه قال : (انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْنَا : أَنْتَ سَيِّدُنَا ، فَقَالَ : السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قُلْنَا : وأفْضَلُنَا فَضْلًا ، وأَعْظَمُنَا طَوْلًا ،

(باب ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد وسده طرق الشرك)

تقدم نظير هذه الترجمة وأعادها المصنف اهتماماً بالمقام فإن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك والفرق بين البابين أن الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية ، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال .

فقال : قُولُواْ بقَوْلِكُمْ ، أوْ بعْضِ قَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ) . رواه أبو داود بسند جيد .

وعن أنس رضِيَ الله عنه : أَنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا ، وَسَيِّدَنَا وابْنَ سَيِّدِنَا . فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بقَوْلِكُمْ ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطانُ ، أنا مُحَمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ ورَسُولُهُ . مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْـزلتي التي أنْـزلني الله عزَّ وجلَّ) . رواه النسائي بسند جيد .

فيـــه مســائل

الأولى : تحذير الناس من الغلو .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له « أنت سيدنا » .

الثالثة : قوله « لا يستجرينكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة : قوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي » .

فكل قول يُفضى إلى الغلو الذي يُخشَىٰ منه الوقوع فى الشرك فإنه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد إلا بتركه .

والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه ، وأركانه ، ومكملاته ومحققاته ، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرًا وباطنا ، قولًا وفعلا وإرادة واعتقادًا .

وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك .

بـاب ما جاء في قـول الله تعالى

﴿ وَمَـا قَدَرُواْ ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيـعـًا قَبْـضَتُـهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية[1]. عن ابْن مَسْعُودٍ رَضِىَ اللهُ عَنْه قَالَ : (جَاء حَبْرٌ مِنَ الأحْبَارِ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَقَال : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ . والأرضينَ على أصبع . والشجرَ على أصبع . والمَاءَ على أصبع والثَّرَى على أصبع وسَائِرَ الخلقِ على أصبع . فيقولُ أنا المَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نواجذُه : تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ ــ ثم قرأ : رسولُ الله ﷺ ﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية) .

(باب قول الله تعالى)
﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾

ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة .

وذكـرَ النصوصَ الدَّالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ، ومجده وجلاله وخضـوع المخلوقـات بأسـرها لعزه ، لأنّ هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وَحْدَه . المحمود وحـده الـذى يجب أن يُبْذل له غايـة الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله . وأنه الحق وما سواه باطل ، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه . وسر الإخلاص .

---

(١) صدر الآية ٦٧ : الزمر .

وفى رِوَايـةٍ لمُسْلِمٍ : « والجِبَـالُ والشجَـرُ على أصبع ــ ثم يَهُزُّهُنَّ فيقولُ : أنا المَلِكُ أنَا اللهُ » .

وفى رِوَايـة البخـارى : (ويَجْعَـلُ السَّمَـٰوَاتِ عَلَى أصبـع ــ والمَاءَ والثَّرَى على أصبع ، وسَائِرَ الخلق على أصبع) أخرجاه .

ولمُسْلِمٍ عن ابن عُمَـرَ مرفـوعـًا : « يَطْـوِى الله السَّمَـٰوَاتِ يَوْمَ القِيَـامـة ثم يأخُـذُهُنَّ بيـدِهِ اليُمْنَى . ثم يَقُـولُ : أنَـا المَلِكُ ــ أين الجَبَّارُون أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟ ثم يَطْوِى الأرضِينَ السَّبْعَ ــ ثم يَأْخُذُهُنَّ بشِمَاله ــ ثم يقولُ : أنا المَلِكُ ، أين الجَبَّارُونَ ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ ؟)

ورُوِىَ عن ابن عَبَّـاسٍ قال : ما السَّمَـٰوَاتُ السَّبْـعُ والأرضُونَ السبع فِى كَفِّ الرَّحْمَٰن إلا كخَرْدَلَةٍ فى يَدِ أحَدِكُم .

وقال ابن جرير : حدثني يونس أخْبَرَنَا ابن وَهْبٍ قال : قال : ابنُ زَيْـدٍ حدثني أبي قال : قال رسُـول الله ﷺ : « ما السَّمَـٰوَات

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه إنه جواد كريم .

وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده . وقد حوى من غُرر مسائل التوحيد . ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغنى عنـه الـراغبـون فى هذا الفن الـذى هو أصل الأصول وبه تقوم العلوم كلها .

والحمد لله على تيسيره ومنته .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

السَّبْعُ فى الكُرْسِيِّ إلا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِى تِرْسٍ) قال : وقال أَبُو ذَرٍّ رَضِىَ الله عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ : (مَا الْكُرْسِيُّ فى العَرْشِ إلا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَىْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْض) .

وعن ابن مسعــود قال : بَيْنَ السَّمَـاءِ الـدُّنيـا والَّتى تَليهـا خَمْسُمِـائَـةِ عامٍ ، وبَيْنَ كُلِّ سَمَاء وسمـاء خَمْسُمِـائَـة عام — وبين السَّمَاء السَّـابعـة والكـرسى خمسمـائة عام — وبين الكرسى والماء خمسمـائـة عام —وَالْعَـرْشُ فَوْقَ المَاء — والله فَوْقَ العَرْشِ لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ من أعْمَالِكم) أخرجه ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبـد الله ورواه بنحـوه المسعـودي عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال : وله طرق .

وعن العَبَّاس بن عَبْدِ المُطَّلِب رضى الله عنه قال : قال رَسُول الله ﷺ : (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض ؟ قُلْنَا : اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ ؟ قال بيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ . ومِنْ كُلِّ سَمَاء إِلى سَمَاء مَسِيـرَةُ خَمْسِمِـائَـةِ سنَـةٍ . وكثف كُلِّ سَمَـاء مسيرَة خَمْسِمائَة سنةٍ . وبَيْنَ السَّمَاء السَّابعة والعَرْش بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِه وأَعْلَاه كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرض والله سُبْحَـانَـهُ وَتعَـالَى فوْقَ ذلِكَ ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْه شَىْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِى آدم) أخرجه أبو داود وغيره .

فيـــه مســـائل

الأولى : تفسير قوله (والأرضُ جميعًا قبضته) .

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه ﷺ ولم ينكروها ولم يتأوّلوها .

الثـالثـة : أن الحـبر لمّا ذكـر ذلـك لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَـه . ونَـزَلَ القرآنُ بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوعُ الضَّحِكِ منه ﷺ لما ذَكَرَ الحَبْرُ هذا العِلْمَ العظيم .

الخـامسـة : التصّـريـحُ بذكْـرِ اليَدَيْنِ . وَأَنَّ السَّمَوَاتِ فى اليدِ اليُمْنَى . والأرضين فى اليدِ الأخرَى .

السادسة : التصْريح بتَسْمِيَتِهَا الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبّرين عند ذلك .

الثامنة : قوله «كخَرْدَلَةٍ فى كَفّ أحدكم » .

التاسعة : عِظَم الكرّسى بالنسْبَةِ إلى السموات .

العاشرة : عَظَمَة العَرْشِ بالنسْبَة للكرسى .

الحادية عشرة : أن الْعَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِى ، والماءِ .

الثانية عشرة : كَمْ بيْنَ كُلِّ سَماء إلى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السَّماء السَّابعة والكرسى .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسى والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السَّماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : أن البحر الذى فوق السَّماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على سيدِنَا محمد وعلى آله وصَحْبه أجمعين .

فهرس لكتاب التوحيد — والقول السديد

٣ مقدمة تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة والجماعة.
١٠-١١ كتاب التوحيد — أقسام التوحيد.
١٥ فضل التوحيد — وفوائده الدينية والدنيوية.
٢٠ فضل تحقيق التوحيد بتفصيل.
٢٣-٢٤ باب الخوف من الشرك — تقسيم الشرك.
٢٦ طريق الأنبياء واتباعهم الدعوة الى التوحيد بالحكمة.
٣٠ الواجب الدعوة على كل بحسبه.
٣١ تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.
٣٣ من تمام التوحيد محبة القائمين به وموالاتهم وبغض من خالفهم ومعاداتهم.
٣٤ حكم لبس الحلقة والخيط ونحوهما بتقسيم بديع شاف.
٣٧ ما جاء في الرقى والتمائم وتقسيمها وبيان حكمها.
٤٠ حكم التبرك بالشجر والحجر ونحوهما — تقسيم التبرك.
٤٣-٤٤ حكم الذبح لغير الله — حد الشرك الأكبر والأصغر.
٤٦ النهي عن الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله — الحكمة في النهي.
٤٨-٤٩ حكم النذر لغير الله . حكم الاستعاذة بغير الله.
٥٠ حكم الاستغاثة بغير الله.
٥٠-٥٢ حد العبادة — والفرق بين الدعاء والاستغاثة.
٥٣ من براهين التوحيد معرفة صفات الله ومعرفة صفات المخلوقين.
٥٦ قول الله تعالى ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم ﴾.
ذكر عظمة الرب وكماله.
٦٠ الشفاعة — تفصيل القول فيها — الرد على المنحرفين فيها.
٦٣ قول الله تعالى ﴿ انك لا تهدي من أحببت ﴾ وتقسيم الهداية.
٦٥ ما جاء ان سبب كفر بني آدم هو الغلو في قبور الصالحين.
٦٦ تقسيم بديع لمعاملة الصالحين — وللحقوق الخاصة لله وللرسول.

٦٩ ما جاء فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح — ذكر الزيارة المشروعة
والممنوعة — ما يفعل عند القبور بتحقيق وتفصيل.
٧٣ الغلو في قبور الصالحين سبب لغضب الله ولعبادتها.
٧٥ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد — وبحث لطيف في الأسباب
التي تقوى التوحيد.
٧٧ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان — والتحذير من الشرك.
٨٠ ذكر السحر ومضاره.
٨٣ بيان شيء من أنواع السحر.
٨٤ ما جاء في الكهان ونحوهم ممن يدعى علم الغيب وحكم ذلك.
٨٦ ما جاء في حل السحر عن المسحور — بيان الجائز والممنوع.
٨٧ ما جاء في الطير — تفسير الطيرة والفال بتفصيل.
٩١ ما جاء في التنجيم وأنواعه.
٩٢ ما جاء في الاستسقاء بالانواء.
٩٤ قول الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ﴾.
٩٥ المحبة وأقسامها.
٩٨ قول الله تعالى ﴿ انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ﴾.
تقسيم الخوف — والخشية.
١٠٠ قول الله تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا ﴾ بحث التوكل وحقيقته.
١٠٢ قول الله تعالى ﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾ بحث مفيد في الباب.
١٠٥ من الايمان بالله الصبر على أقدار الله.
١٠٧ ما جاء في الرياء — تقسيم الرياء بتفصيل.
١١٠ من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا.
بحث مفصل فيما يعمله الانسان بقصد الدنيا والآخرة.
١١١ بحث طاعة العلماء والأمراء في الأمر والنهى خلاف الشرع.
١١٣ بحث التحاكم الى غير حكم الله، وحكم ذلك.
١١٥ من جحد شيئا من الأسماء والصفات.

١١٧ قول الله تعالى ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ بحث فى الباب .
١١٨ قول الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ .
١٢٠ ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله — وتقسيم بديع لذلك .
١٢١ حكم قول ما شاء الله وشئت .
١٢٣ سب الدهر أذية لله ونقص فى الدين والعقل .
١٢٤ التسمى بقاضى القضاة ونحوه .
١٢٦ من هزل بشيء فيه ذكر الله الخ وحكمه .
١٢٨ الواجب اضافة النعم الى الله ابتداء والثناء على الله بها .
١٣٠ قول الله تعالى ﴿ فلما آتاهما صالحا ﴾ .
١٣٢ بحث قيم جدا فى قول الله تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ .
١٣٤ باب : لايقال : السلام على الله .
١٣٥ قول اللهم اغفرلي ان شئت بحث فى الباب .
١٣٧ بحث قول عبدي وأمتي بتفصيل قيم .
١٣٨ بحث فيمن سأل بالله — ولا يسأل بوجه الا الجنة .
١٣٩ ما جاء فى اللو — تفصيل الكلام فى ذلك .
١٤٢ النهى عن سب الريح وحكمه .
١٤٣ بحث فى قوله تعالى ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ .
١٤٥ ما جاء فى منكرى القدر — حكم الايمان به .
١٤٧ ما جاء فى المصورين من الوعيد .
١٤٩ ما جاء فى كثرة الحلف .
١٥١ ما جاء فى ذمة الله — وذمة نبيه فى العهود .
١٥٣ ما جاء فى الاقسام على الله .
١٥٤ باب لا يستشفع بالله على خلقه .
١٥٥ ما جاء فى حماية المصطفى جناب التوحيد الخ .
١٥٧ ما جاء فى قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ .
١٦٢ الفهرس .